الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم : التاريخ

بعنوان:

تجربة المهدوية في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين

(3 هـ-9 م / 6هـ- 12 م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر اكاديمي في شعبة تاريخ الوسيط

تخصص : الغرب الإسلامي

إعداد الطلبة :

✍ عبد الفتاح كروش

✍ علي خلوط

✍ محمد عبد الرؤوف دبش

إشراف الدكتور :

✍عبد الحميد العابد

لجنة المناقشة:

اسم الأستاذ	الرتبة العلمية	الصفة
البشير غانية	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
عبد الحميد العابد	أستاذ محاضر . ب	مشرفا ومقررا
زكري زكايرة	أستاذ مساعد . أ	مناقشا

السنة الجامعية: 2023م -2024م / 1444 هـ - 1445هـ

/

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

في البداية نحمد الله ونشكره على فضله وكرمه بأن وفقنا لإتمام بحثنا هذا على أكمل وجه ثم لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل لأستاذنا الفاضل " عبد الحميد العابد " الذي أشرفنا على مذكرتنا دعما وتوضيحا وإرشاد طيلة فترة البحث والإعداد راجين من المولى عز وجل أن يبارك فيه وفي أولاده ،أيضا لا يسعنا إلا أن نتقدم للسادة الأساتذة الكرام الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي وعلى مدار سنتين حتى وصلنا بعون الله وفضله إلى هذه اللحظة الرائعة من نشوة التخرج بتخصصنا في التاريخ الوسيط الممتع الواسع دون أن ننسى إخوتنا وأخواتنا زملاء الدراسة الذين ما رأينا فيهم إلا خيرا فاللهم وفقنا ووفقهم وسدد خطانا وخطاهم لما فيه الخير للأمة العربية والإسلامية وصلي اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

الإهداء

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،بعد مسيرة دراسية حملت في طياتها الكثير من الصعوبات جاء اليوم الذي نقطف فيه ثمرة جهودنا والتي نهديها أولا للوالدين الكريمين حفظهما الله ،دون أن ننسى الأهل والأولاد على صبرهم ودعمهم ،وإلى كل الأصدقاء والأحباب و كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو بعيد شكرا لكم جميعا دون استثناء كذلك لا ننسى إخواننا بفلسطين عجل الله فرجهم .

الملخص باللغة العربية:

يعالج هذا البحث إحدى الجزئيات المهمة في التاريخ الإسلامي والمعروفة بتأثيرها السياسي في بلاد المغرب الإسلامي ألا وهي "فكرة المهدوية" وجاء البحث بالوسم التالي:

المهدوية في بلاد المغرب الاسلامي (ق3-6هـ)

عرجنا في البداية إلى جذور هذه الفكرة والتي كانت منتشرة منذ فجر التاريخ بوصفها حاجة نفسية واجتماعية، تتناسب وتتطابق مع طبيعة الإنسان وفطرته، وقد غذى التراث الديني بشتى أنواعه هذه الفكرة ونماها مما يكشف عن وجود أسس متينة قوية تستند إليها، وتعبر عن تطلع البشرية المستمر للكمال حتى صارت من الأمور المتفق عليها عند جميع الأديان السماوية والمذاهب الوضعية ،ولقد شهدت العصور الوسطى في شرق العالم الإسلامي وغربه قيام جملة من الدول والدويلات والكيانات السياسية التي تصارعت وتنافست وصاغت ما وصف بالتاريخ الإسلامي واختلفت أشكالها وأزمنتها لكن جمعتها مسأله الدعوة حيث لم تكاد تأسس دولة إلا على دعوة سبقت قيامها وظيفتها جمع الناس بمختلف تنظيماتهم ومنحهم الأمل في التغيير السياسي،وقد استخدمت جملة من الأفكار والعقائد منها فكرة المهدوية ،وقد عرفت بلاد المغرب بروز على الأقل تجربتين عند الفاطميين (الشيعة) والموحديين (السنة)

الكلمات المفتاحية :فكرة المهدوية؛ التجربة الفاطمية؛ التجربة الموحدية؛بلاد المغرب الإسلامي

Abstract in English:

This research paper disuses one of the important parts of Islamic history whose dimensions are known, which is “the idea of Mahdism "mahdais" This political in fluency on the Islamic orient countries thus the research is entitled as:

Mahdism in the Islamic Maghreb (3-6 AH).

We first went back to the roots of this idea, which has been widespread since the dawn of history as a psychological and social need, commensurate and compatible with human nature and nature. Religious heritage of all kinds has nourished and grown this idea, which reveals the existence of solid, strong foundations on which it is based, and which expresses humanity’s constant aspiration for perfection. Until it became one of the matters agreed upon by all divine religions and positive schools of thought. The Middle Ages in the east and west of the Islamic world witnessed the emergence of a number of states, mini-states and political entities, as they struggled, competed and formulated what was described as Islamic history. Their forms and times differed, but they were united by the issue of the call, as no state was founded without it. On a call that preceded its establishment, its function was to bring people together in their various organizations and give them hope for change, as the countries of the Levant and Maghreb witnessed during the Middle Ages the establishment of several political entities with different intellectual and sectarian references in support of the political project, and they used a number of ideas and beliefs, including the idea of Mahdism.

Keywords: the idea of Mahdism- The Fatimid experience- The Almohad Experience- The Islamic Maghreb

قائمة الإختصارات

الرموز	الدلالات
د د ن	دون دار نشر
د م ن	دون مكان نشر
د س ن	دون سنة نشر
ط	طبعة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
مر	مراجعة
هـ	هجري
م	ميلادي
ج	جزء
ت	توفي
ص	صفحة
/	إشارة بين التاريخين الميلادي والهجري
مج	المجلد
ع	العدد
ص ص	صفحتان فما أكثر

قائمة الفهارس

فهرس المحتويات

شكر وعرفان I

الملخص باللغة العربية: III

قائمة الإختصارات V

قائمة الفهارس VI

فهرس المحتويات VII

فهرس الملاحق IX

المقدمة ..... أ

الفصل الأول: الجذور التاريخية للفكرة المهدوية

المبحث الأول: مصطلحات ومفاهيم 6

1–المهدوية لغة واصطلاحا: 6

2–مفاهيم متصلة بفكرة المهدوية في التراث الإسلامي: 7

المبحث الثاني: المهدوية قبل الإسلام : 10

1–عند قدماء المصريين: 10

2–عند الهندوس: 11

3–عند البوذيين: 12

4–عند الزرادشتية: 13

5– في الديانة اليهودية: 13

6– في الديانة النصرانية: 15

المبحث الثالث : المهدوية في التراث الإسلامي 17

1–المهدي المنتظر عند أهل السنة: 17

2– المهدي المنتظر عند الشيعة : 18

الفصل الثاني : المهدوية والدعوة الشيعية في بلاد المغرب الإسلامي(270هـ–362هـ)

المبحث الأول : الأوضاع السياسية لدول المغرب الإسلامي قبل قيام الدولة الفاطمية 22

1– الدولة المدرارية أو دولة بني واسول:(140_296هـ/ 757_909 م) 23

2–الدولة الرستمية:(160_296هـ/ 776_908م) 25
3–دولة الأدارسة (172 _275هـ/788_985م) 28
4–دولة الأغالبة : (184_296هـ/800_908م) 30
المبحث الثاني : المهدوية والدعوة الإسماعيلية ببلاد المغرب الإسلامي 32
المبحث الثالث : سلطة الشيعة الإسماعيلية وسياستها المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي 38
الفصل الثالث: المهدوية عند الموحدين (الأسس الفكرية والأبعاد السياسية) (360هـ–524هـ)
المبحث الأول: بلاد المغرب قبل قيام الدولة الموحدية: 48
1–الدولة الزيرية (362هـ –373 هـ): 48
2–الدولة الحمادية (404هـ –547هـ): 48
3–الدولة المرابطية (430 هـ – 541 هـ): 49
المبحث الثاني :المهدوية التومرتية فكرا وممارسة 53
1– محمد بن تومرت وتأثير البيئة العلمية في فكره: 53
2–تأثير البيئة العلمية بلورة فكر بن تومرت : 54
3–مرتكزات مهداوية عند بن تومرت : 59
4– دور المهدوية في قيام دولة الموحدين :..... 63
الخاتمـــة..... 72
قائمة الملاحق..... 75
قائمة المصادر والمراجع..... 81

فهرس الملاحق

الملحق 01: خريطة توسع أبي عبد الله الشيعي من قاعدة إسكجان 76

الملحق 02: خريطة الدولة الفاطمية في أوج إتساعها حوالي990 /نقلا عن حماد الصنهاجي :المصدر السابق ص131 77

الملحق رقم 03: محمد عبد الله عنان:المرجع السابق،ص183 78

الملحق رقم 04: محمد عبد الله عنان :المرجع السابق،ص551..... 79

الملحق رقم 05 محمد عبد الله عنان: المرجع السابق،ص199..... 80

المقدمة

المقدمة

شهدت العصور الوسطى في شرق العالم الإسلامي وغربه قيام جملة من الدول والدويلات والكيانات السياسية حيث تصارعت وتنافست وصاغت ما وصف بالتاريخ الإسلامي واختلفت أشكالها وأزمنتها لكن جمعتها مسأله الدعوة حيث لم تكاد تأسس دولة إلا على دعوة سبقت قيامها وظيفتها جمع الناس بمختف تنظيماتهم ومنحهم الأمل في التغيير

كما شهدت بلاد المشرق و المغرب خلال العصر الوسيط قيام عدة كيانات سياسية بمرجعية فكرية ومذهبية مختلفة داعمة للمشروع السياسي ،وقد استخدمت جملة من الأفكار والعقائد منها فكرة المهدوية التي تعتبر من أهم الأفكار التي استخدمتها فئات خارجة عن السلطة والتي جعلت من المهدوية شرعية للصراع بين الحاكم والمعارضة مستغلة حالات الاحتقان الاجتماعي من السلطة المركزية وخاصة من قبل الشيعة معتمدة على نظرية الحق الإلهي في الحكم ،كما ساهمت العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بالإضافة إلى الروابط الثقافية للمجتمعات الإسلامية في تطور المهدوية عبر العصور الأولى خاصة عند الشيعة والتي أثرت في مسيرة المجتمع الإسلامي من خلال ربطها بمفاهيم مثل الغيبة والرجعة التي أثرت في مسيرة المجتمع الإسلامي من خلال الدعوة للمهدي.

ولما كان إشتغالنا محدود بتاريخ مجتمعات المغرب الإسلامي الوسيط الذي عرف على الأقل تجربتين مهدويتين هما الفطمية والموحدية فإننا أثرنا أن نفحص هذين التجربتين مدفوعين بالإشكالية التالية :

1-إشكالية الدراسة

- كيف تجلت على مستوى الممارسة والتنظيم في التجربة الفاطمية الشيعية والموحدية السنية ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية أهمها:

- متى وكيف ظهرت المهدوية في التاريخ الإسلامي ؟
- ما هو مفهوم المهدوية عند الفاطميين والموحدين ؟
- وفيما تمثلت مرتكزات المهدوية عند بن تومرت؟ وماهي نتائجها السياسية ببلاد المغرب ؟.

2-دواعي اختيار الموضوع

- الرغبة في دراسة التاريخ المذهبي لبلاد المغرب الاسلامي كونه جزءً من تاريخنا وحضارتنا .

- الرغبة في فهم فكرة المهدوية وخاصة أنها تجمع بين المذاهب المتعارضة عقديا(الشيعة والسنة) وحتى عند مختلف الأديان.

– معرفة دور المهدوية في قيام كيانات سياسية جديدة وسقوط أخرى وتغيير جغرافية بلاد المغرب

3–خطة الدراسة

لقد قمنا بتقسيم دراستنا إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، حيث تطرقنا في الفصل الأول إلى الجذور التاريخية لفكرة المهدوية مقسم إلى مبحثين الأول بعنوان" مصطلحات ومفاهيم " الذي عرّفنا فيه المهدوية ومصطلحات لها علاقة بها مثل الإمامة، الخلافة ، العصمة.

أما المبحث الثاني فكان" المهدوية في الفكر الديني قبل الإسلام " عند قدماء المصريين وعند الهندوس وثم البوذنيين وفي الديانة الزرادشتية بالإضافة في الديانة المسيحية واليهودية.

أما المبحث الثالث فكان بعنوان" المهدوية عند المسلمين " وقسمناه إلى عناصر أولها. المهدي المنتظر عند أهل السنة والثاني المهدي المنتظر عند الشيعة الاثنى عشرية (السبعية)

–أما الفصل الثاني فكان بعنوان " المهدوية والدعوة الشيعية في بلاد المغرب الاسلامي " الذي قسمناه إلى 3 مباحث أولها " الأوضاع السياسية لدول المغرب الاسلامي قبل قيام الدولة الفاطمية ويتضمن عناصر وهي :–دولة بني مدرار(140هـ– 296 هـ) – دولة الرستمية (160هـ –296 هـ) – دولة الأدارسة (172 هـ –375 هـ) – دولة الأغالبية (184 هـ – 296 هـ)

أما المبحث الثاني كان بعنوان" الاسماعيلية والدعوة المهدوية ببلاد المغرب الاسلامي ، ليليه المبحث الثالث " سلطة الشيعة الاسماعيلية وسياستها المذهبية"

أما الفصل الثالث فكان بعنوان " المهدوية عند الموحدين الأسس الفكرية والأبعاد السياسية " ،حيث تضمن مبحثين أولهما " بلاد المغرب قبل قيام دولة الموحدين " ،وفيما يخص المبحث الثاني بعنوان " المهدوية التومرتية " ، حيث تضمن عناصر كالآتي : –محمد بن تومرت وتأثير البيئة العلمية في فكره يليه – مرتكزات المهدوية عند بن تومرت وأخيرا – دور المهدوية في قيام دولة الموحدين .

4–المنهج المتبع في الدراسة

إستعملنا في دراستنا جملة من المناهج وذلك حسب ما يناسب موضوعنا ، منها المنهج التاريخي وذلك في دراسة ظاهرة المهدوية منذ قيامها وتطورها سواء عند المسلمين وغيرهم ثم دخولها إلى بلاد المغرب، و المنهج الوصفي فكان في وصف الأحداث والوقائع المتعلقة بالموضوع ،كما كان المنهج التحليلي لاستخراج أسباب الأحداث المتعلقة بالظاهرة والتي ساهمت في انبعاثها ببلاد المغرب .

5-المصادر والمراجع العتمدة

إن الكتابات التي تناولت موضوع الدراسة متعددة منها ماهو متعلق بالمذاهب والمصطلحات مثل "المقدمة الزهراء في ايضاح الإمامة الكبرى " للذهبي ، و "الملل والنحل" للشهرستاني، و "الأحكام السلطانية " للماوردي ، أما ما يتعلق بالدولة الفاطمية فنجد " اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء " للمقريزي و "إنفتاح الدعوة " للقاضي النعمان ، بالإضافة إلى مصادر الدولة الموحدية فنجد " محمد بن تومرت مهدي الموحدين " للبيدق ، و "المعجب في تلخيص أخبار المغرب " لعبد الواحد المراكشي .

أما المراجع فاعتمدنا على مجموعة أهمها – موسى لقبال :دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري وكتابي " المهدي بن تومرت" و "تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت " لعبد المجيد النجار .

6-الصعوبات

لقد اعترضت عملنا هذا عدة صعوبات أهمها :

-المجال الزمني الشاسع لفكرة المهدوية وصعوبة تحديد جذورها التاريخية.

- تقاطع فكرة المهدوية للمجال السياسي والاجتماعي والعقائدي وصعوبة الفصل بينهم.

الفصل الأول: الجذور التاريخية للفكرة المهدوية

المبحث الأول: مصطلحات ومفاهيم

المبحث الثاني: المهدوية في الفكر الديني قبل الإسلام

المبحث الثالث : المهدوية في التراث الإسلامي

المبحث الأول: مصطلحات ومفاهيم

عرفت الأمم والشعوب منذ القدم فكرة المخلص وذلك لعدد من العوامل التي لها تأثيرها الثقافي والفكري المتفاوت بناء على اختلاف درجات وعيهم الديني والفلسفي، ومستوى حماسهم النفسي الذي تقرره ظروف واقعهم المعاش ،ومن هذه العوامل والمرتكزات التي يمكننا عدها كقاعدة لتعريف المهدوية

أنه ومنذ فجر التاريخ كانت فكرة المنقذ الموعود منتشرة بوصفها حاجة نفسية واجتماعية، تتناسب وتتطابق مع طبيعة الإنسان وفطرته، وقد غذى التراث الديني بشتى أنواعه هذه الفكرة ونماها مما يكشف عن وجود أسس متينة قوية تستند إليها، وتعبر عن تطلع البشرية المستمر للكمال والفضيلة[1].

ولا شك أيضا أن الإيمان بحتمية ظهور المنقذ من الأمور المتفق عليها عند جميع الأديان السماوية والمذاهب الوضعية، ،وهي قاسم مشترك بين كل الحضارات، كون فكرة المنجي حاجة إنسانية فطرية .

أما عند المسلمين وبالضبط الشيعة فيرى منظروهم أن إمامهم المهدي سيغير جميع الحكومات الموجودة ويدمجها تحت لواء حكومته العادلة، فيشكل الدولة العالمية الواحدة، التي ستجعل شعوب العالم ينظرون لأنفسهم على أنهم أسرة إنسانية واحدة على هذه الأرض، وليس أمم وشعوب مختلفة[2]

1-المهدوية لغة واصطلاحا:

❖ **لغة: من** الهدى والرشاد والدلالة[3] وهي خلاف الضلالة ،[4]قال تعالى :﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ**﴾[5]أي إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال، وقال تعالى :﴿ **قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ**﴾[6]،أي الصراط الذي دعا إليه هو طريق الحق ،ومنه فان المعنى العام للفظ المهدوية لا يتجاوز الدلالة والإرشاد والتبيين وبهذا فان معناها منوط بوظيفة من حملها، أي بين وأرشد ودل.

❖ **اصطلاحا** :أما المعنى الاصطلاحي للفظة المهدوية فيشير إلى ذلك الرجل من نسل النبي، والذي سيظهر أخر الزمان ويملأ الأرض عدلا، وينشر والإسلام الصحيح ويحارب وينتصر على أعداء الإسلام، وقد استعمل في الأسماء

1 -مجتبى السادة :تعريف المهدوية للحضارات الأخرى ، دار أطياف للنشر و التوزيع ، السعودية ،ط2020،1،ص35

2 -مجتبى السادة: المرجع السابق،ص38

3 - الجوهري ، أبي نصر إسماعيل بن حماد :تاج اللغة صحاح العربية ،تحقيق عبد الغفار عطار ،دار العلم لملايين ،بيروت، ط2، 1979م، ج6،ص2533

4 - أحمد بن فارس :مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر (د.م)، 1972م ،ج6 ،ص42

5 -سورة الليل: أية 12

6-سورة البقرة :أية 120

كما يقول ابن منظور (ت 711هـ/1311م" (:**حتى صار كالأسماء الغالبة** "،[1] ليقودنا هذا المعنى إلى وجود شخص اسمه المهدي والذي بشر به النبي- صلى الله عليه وسلم

2-مفاهيم متصلة بفكرة المهدوية في التراث الإسلامي:

2-1-الإمامة:

❖ **لغة** :الإمام والإمامة بكسر الهمزة كل ما أأتم به قوم من رئيس أو غيره، والإمام الخيط الذي يمدّ على البناء فيبنى عليه، ويسوى عليه ساف البناء، والإمام الطريق الواسع لأنه يؤم ويتبع، والإمام قيم الأمر المصلح له[2].

و"كل مَن أُقتدي به وقُدم في الأمور فهو إمام، والنبي إمام الأمة والخليفة إمام الرعية، والقران إمام المسلمين، وإمام الغلام ما يتعلمه كل يوم، والإمام الطريق، والإمام بمنزلة القدام، (فيقال) فلان يؤم القوم، أي يقدمهم، والإمامة النعمة.

❖ **اصطلاحا**: يعرف ابن خلدون(ت808هـ/1406م) الإمامة:هي خلافة صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا[3] ،ويقول ابن تيمية(ت 728هـ/ 1328م) :الإمام العادل هو الذي يؤم به وذلك على وجهين أحدهما أن يرجع إليه في العلم والدين ،بحيث يطاع باختيار المطيع لكونه عالما بأمر الله عز وجل أمر به فيطيعه المطيع لذلك وإن كان عاجزا عن إلزامه الطاعة[4]

أما مفكرو الشعية فإن الإمام عندهم منصبا إلهيا وعهدا من الله تعالى كالنبوة ففي ذلك يقول شيخهم محمد حسن أل كاشف العطاء "ومراد الإمامية بالإمامة : كونها منصبا إلهيا يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي ، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه...[5]"

2-2-الخلافة:

❖ **لغة** :يقال خلفته أي جئت بعده، واستخلفه أي جعله خليفته"[6]. الخلافة الإمارة وهي الخليفة، وفي حديث عمر بن الخطاب، لولا الخليفة لأذنت"[7].

---

1 – إبن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري (ت 711هـ/ 1331م): لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)،مج6، ص4639

2- محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس ، ج8، مكتبة الحياة ، بيروت ، ص 138

3 ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت808هـ/1406م): تاريخ إبن خلدون ، تحقيق سهيل زكريا، ،دار الفكر ، بيروت ،2001مص107

4 – ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ/ 1328م): منهاج السنة النبوية ، تحقيق محمد رشاد سالم ،مؤسسة قرطبة ،1406هـ ،ط1،ج8،ص 293

5 -الصدوق القمي: كمال الدين وتمام النعمة ،مؤسسة الأعلى للمطبوعات ،(د.ت) ، بيروت، لبنان ص9

6- إسماعيل بن حماد الجوهري : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . ج4 . ط4 . دار العلم للملايين . بيروت . 1407هـ . ص 1356.

7 – ابن منظور : المصدر السابق، ج9 ، ص 84

وتجمع على خلفاء، قال الزجّاج، جاز أن يقال للائمة خلفاء الله في أرضه. وعلى خلائف، قال الفرّاء، خلائف في الأرض يخلف بعضكم بعضا ،ومما تقدم يتبين أن معنى الخلافة، هو ما يجيء من بعد، كما أنها تأتي بمعنى النيابة عن الغير، فقد قال موسى لأخيه (اخلفني في قومي)[1].

❖ **اصطلاحا** :عرفت الخلافة في أبحاث متكلمي المسلمين وفقهائهم في النظريات السياسية باسم الإمامة وأطلق على من تولى بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى نهاية الدولة العثمانية كان باسم الخلافة[2]،فنجد الماوردي (ت 450هـ/1058م)يجمع بين اللفظين في تعريف واحد فقال" الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا "،[3]وقد أورد بن خلدون (ت808هـ/1406م).

هذا المعنى بقوله :"تسمى خلافة وإمامة والقائم بها خليفة وإماما، فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة في إتباعه والاقتداء به، ولهذا يقال الإمامة الكبرى."[4]

2-3-العصمة:

❖ **لغة:** كلمة العصمة لها عدة معاني في اللغة العربية منها المنع والحفظ والوقاية، يقال عصم يعصم، واعتصمت بالله إذا امتنعت بلطفه من المعصية[5]،وفي القرآن قال الله تعالى ﴿والله يعصمك من الناس﴾[6] أي من القتل ،والعاصمة المدينة وهي اليوم قاعدة الملك، والعصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها[7].

❖ **اصطلاحا** :تعني الخلو عن الأخطاء والآثام إذ يعرفها الحافظ ابن حجر بقوله : وعصمة الأنبياء –على نبينا وعليهم الصلاة والسلام " حفظهم من النقائص،وتخصيصهم بالكمالات النفسية والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة ،والفرق بينهم وبين غيرهم أن العصمة في حقهم بطريق الوجوب وفي حق غيرهم بطريق الجواز من النقائص"[8] ،ويذكر الصدوق القمي (ت 444هـ/1053م) حول هذا الأمر في اعتقاداته" :**اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة صلوات الله عليهم أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبا صغيرا ولا**

1 – سورة الأعراف: آية142

2 – الجوهري: المصدر السابق. ج4 ، ص 1356.

3 –أحمد بن فارس : المرجع السابق،ج1 ص 28

4 – ابن خلدون :المقدمة، تحقيق خليل شحاده وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص 239

5 – محمد فريد وجدي :دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، ط1971 ،3م، ج ،ص6.

6 سورة المائدة: أية67

7 ابن منظور :المصدر السابق، مج ،4ص .29

8 العسقلاني أحمد بن علي بن حجر : فتح الباري ج1،تح عبد العزيز بن عبد الله بن باز ،المكتبة السلفية ،السعودية ،ص454

كبيرا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى العصمة عنهم في شيء من أحوالهم فقد جهلهم.[1]"

وبهذا نجد أن هذه المفاهيم تشترك فيما بينها بعلاقتها بنظرية الحكم الإسلامي من حيث طريقة تعيينه واختياره وعلاقته بالشريعة الإسلامية، وكذا من حيث الشروط والصفات الواجب توفرها في الإمام السياسي حسب كل فرقة أو قطاع، خاصة بين رأيي أهل السنة من جهة والشيعة من جهة أخرى، ومنه ندرك أهمية الفكرة في التاريخ الإسلامي لارتباطها بالمفاهيم السياسية المتعلقة بنظرية الحكم، وتأثير هذه المفاهيم على مسيرة التاريخ الإسلامي فكرا وواقعا.

1 – الصدوق القمي :الاعتقادات في دين الإمامة، تحقيق عصام عبد السيد، بيروت، ط2 1993م،ص16

المبحث الثاني: المهدوية قبل الإسلام :

1-عند قدماء المصريين:

ظهرت في كتابات الحكماء المصريين أولى بوادر عقيدة المخلص (العقيدة المسيانية)* ومدارها الإيمان بظهور شخصية قدسية على الأرض تعيد إلى الأرض السلام وتقر العدالة بعد أن ملئت جورا وفسادا وفقرا. ولعل دورة النيل مرجع هذه العقيدة: لأنه يعود بعد إمحال نهر النيل ثم يؤوب جالبا معه الخيرات والبركات بعد جوع وعطش.[1] ،ولقد رصد بعض الباحثين أولى الأفكار المتعلقة بالمنقذ والمخلّص في عهد ما قبل السلالات، إذ كان الشمال (الوجه البحري) والجنوب (الوجه القبلي) في مطاحنات مسلحة لمدة طويلة .. والظاهر أن مقاطعة الدلتا كانت أقوى من مقاطعة الصعيد وان أطماع ملوك الأولى كانت ممتدة بهم الى توحيد مملكتهم بمملكة الصعيد. وقد قامت بالفعل عدة اتحادات لكنها سرعان ما سقطت، وربما نستطيع أن ننسب أسباب سقوط هذه الاتحادات – إضافة إلى أطماع الملوك – إلى أطماع الكهنة الذين كان لهم نفوذ متزايد في كلتا المملكتين. ،ويظهر أن الظروف المتشابهة بكلى الجانبين (من حيث الدين واللغة والعادات المتقاربة) قد دفع برجل عظيم " ربما يكون مينا الذي ذكره هيرودتس، والذي يكون هو نفسه إلها حيث يظهر لنا في لوحة نارمر"، إلى التفكير بتوحيد البلاد وحكمها بنفسه وفعلا فقد ظهر منقذ جبار وقائد عظيم استطاع أن يجمع رؤساء الجيش ويوحد بينهم ويتفق معهم على الاعتراف به ملكا وبذلك يكون أول زعيم استطاع أن يوحد وادي النيل تحت حكم واحد إن هذا العمل الذي قام به هذا الرجل كان مثارا للعجب والافتخار عند أهل مصر مما دفعهم إلى احترامه وتبجيله « ونظروا إليه بقدسية لأنه عمل أمرا لم يتمكن من إنجازه الملوك من قبله[2] أما المنقذ الآخر والذي أثار جدلا كبيرا، فهو الإسكندر المقدوني، الذي حكم مصر بعد استيلاء الفرس عليها، وقد أحيط بكثير من الأساطير والأفكار الدينية، جعلت الباحثين يختلفون في تفسير ما وصلنا عنه. لعبت المعتقدات المصرية دورا مهما في إبقاء الشعب في حالة انتظار ذلك بنبوءة خرجت من معبد "آمون "مقتضاها أن الفرس يسيطرون وأن الملك الوطني سيعود ثانية[3].ولأجل إثبات نبوءة كهنة "آمون" عمد أول ما حط رحاله في العاصمة المصرية ممفيس (منف) إلى إظهار احترامه للديانة المصرية، فعمل على تقديم القرابين في معبد "فتاح" للآلهة الفرعونية والعجل المقدس "آبيس،" ورسم نفسه فرعونا

---

1 – فؤاد محمد شلبي : در مصر في تكوين الحضارات ، الهيئة المصرية العامة للتأليف ،القاهرة،ط1 ، 1971م، ص ص 19-20

*-العقيدة المسيانية: وهي أن اليهود يؤمنون بيسوع ويعترفون بكونه المسيح كما يؤمنون بكافة العقائد المسيحية الرئيسية أبرزها عقيدة الثالوث (ويكيبديا،22:00م 2024/04/26)

2 – سامي سعيد الأحمد : محاضرات في التاريخ القديم على طلاب الصف الثاني بكلية الآداب قسم التاريخ نقلا عن فاتح مهدي ، البحث عن منقذ دراسة مقارنة بين ثماني ديانات ، دار رشيد ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1981م،ص14

3 -محمد ناصر صديقي :المرجع السابق ، ص44

طبقا للطقوس والأعراف الدينية المصرية[1] وبهذا اعتبر الإسكندر ابن الإله الأكبر آمون ومنح الإسكندر السيطرة على العالم بأسره، لأنه كان جزءا من طقوس الإله آمون أن يسأل الكاهن الإله باسم فرعون السيطرة على العالم بأسره فيمنحه الإله هذه السيطرة[2].

2-عند الهندوس:

الاعتقاد في نزول المخلّص في آخر الزمان يعتبر في الديانة الهندية أحد طرق الخلاص التي يؤمن بها الهندوس، فهناك خلاص خاص بالنفس الانسانية، يفسرونه بعقيدة "الكارما* وعقيدة تناسخ الأرواح،* وعقيدة الانطلاق*.أما الخلاص العام الذي يشمل كل المؤمنين ليخلصهم من الشرور والآلام، ولينقذ الأبرار ويقضي على الأشرار؛ فهو مرتبط بالإله فشنو. فعقيدة الخلاص عندهم جعلتهم يؤمنون بأن النفس البشرية لكي تتخلص من شرورها وآثامها وجب عليها أن تسلك أحد المسالك: إما "الكارما" أو "تناسخ الأرواح" أو "الانطلاق وتقوم هذه الفكرة على أن كل عمل يأتيه الإنسان له نتيجة حتما، وإن كل شيء يختبره الإنسان في كل طور من أطوار الوجود المتكررة تقرر الأعمال التي يأتيها في الوجود السابق... وإن الإنسان لا يحاسب على أعماله في هذه الحياة، إنما في حياة ثانية " ويغدو المرء جزاء أعماله السيئة، التي ارتكبها بجسمه في خلقته الثانية جمادا، والتي ارتكبها بلسانه طيرا أو حيوانا، وينحط إلى الفرق السافلة نتيجة ارتكابه سيئة بعقله"[3]

أما تناسخ الأرواح فهو رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر. وسبب التناسخ أو تكرار المولد هو (أولا) أن الروح خرجت من الجسم ولا تزال فيها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد، و(ثانيا) أنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لابد من أدائها، فلا مناص إذا من أن تستوفي شهواتها في حيوات أخرى، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة.[4] ،أما "الانطلاق" فهو حالة الروح التي بقيت صالحة في دورات تناسخية متعاقبة ولم تعد تحتاج إلى تناسخ جديد فيحصل له النرفانا (النجاة) من الجولان وتتحد الروح بالخالق. ومن هنا فإن الهدف الأسمى للحياة عند الهندوس هو التحرر من رق الأهواء والشهوات، فإن الروح إذا خرجت من جسم تنتقل إلى جسم آخر وهكذا تظل متنقلة من جسم إلى جسم حتى يحصل لها "النرفانا" وهو العودة إلى أصلها الذي صدرت عنه، والاتحاد

1 -المرجع نفسه ، ص45

2 - إبراهيم نصحي : دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة ، مكتبة لأنجلو المصرية القاهرة ، مصر ، 1959م ،60

3 -إبراهيم نصحي: المرجع السابق: ص ص 53-54

4 - شلبي أحمد : أديان الهند الكبرى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1، 2000م،ص61

والاتصال به وهو "برهما."[1] ،أما الخلاص الجماعي الذي يتمثل في نزول مخلّص كلما ازداد الظلم وحل الشقاء، وكثرت الشرور فإن الهندوسية تؤمن بتجسد الإله في شخص يكون هو المنقذ، وهو ما يسمى عندهم بالسنسكريتية واللغات الهندية بعقيدة " أفتار" والتي تعني النزول. وفي الاصطلاح عند الهنادك: نزول الرب إلى الأرض لإصلاح الناس بصورة البشر كما جاء في كتاب كيتا[2]

3-عند البوذيين:

تعتبر الديانة البوذية منبثقة عن الديانة الهندوسية التي تميزت بميزة الطبقات؛ أعلاها طبقة البراهمة التي خصت نفسها بكثير من الامتيازات، "وفي ظل هذا النظام استبد البراهمة وظهر عسفهم وطغيانهم أحيانا، وضج الناس من استبداد البراهمة وجورهم وتمنوا ظهور قائد روحي جديد يخلصهم من ظلم البراهمة وطغيانهم؛ وكانت طائفة الكشتريا أكثر الطوائف إحساسا بهذا الظلم لشدة ما بين الطائفتين من تنافس كنتيجة لقرب المسافة بينهما.

وعلى هذه الأفكار ذهب جميع المصلحين والفلاسفة الهنود على أنها دارت في الفلك الهندي ولم تتجاوزه، فالجميع يرون أن الحياة الدنيا تعاسة، والعيش فيها ويل، والتغير والزوال أساس الحسرات وأصل الآلام والجميع يقولون بتكرار المولد، وبالزهد وسيلة[3]...وعلى هذا فإن هناك تشابها في بعض العقائد بين البوذية والهندوسية وقد تختلف الأسماء لكن المسميات لا تختلف، ومثال على ذلك فإن عقيدة الانطلاق التي تكلمنا عنها سابقا في الهندوسية هي نفسها عقيدة "النرفانا "في البوذية، وهي وصول الإنسان إلى حالة الانعتاق من الشهوات الدنيا والميل إليها، والتخلص من رغبات النفس وإحساسها بنوازع الخير والشر .ومن خلال هذه العقيدة يقول البوذيون إن طريق خلاص النفس لا يتم إلا بالنرفانا والتي يصل إليها الإنسان بتشديد كبير على ضبط النفس والإنجاز الفردي، لأن الهدف هو الإرهاتية(Arhatship) (مرحلة القداسة) التي ترمز إلى انطفاء نيران الشهوة والتوق لدى الفرد... ويبدو أن هناك أكثر من بوذا سيظهر وليس منقذا واحدا، "فبوذا نفسه أشار في آخر حياته إلى أليس أول البوذات ولا آخرهم، لذا نرى البوذيين حتى الآن ينتظرون ظهور حكيم من بينهم يأتي ليخلص ويهدي[4]

1 – محمد ضياء الرحمن ألأعظمي : دراسات في اليهودية المسيحية أديان الهند ن مكتبة الرشد ناشرون ن السعودية ،ط2 ، 2003 م ،ص ص 631-630

2 –فاتح مهدي : البحث عن منقذ دراسة مقارنة بين ثماني ديانات ص58 ، الأعظمي ضياء الرحمن ،دراسات في اليهودية و المسيحية وأديان الهند ص 614

3 –محمد ضياء الأعظمي :المرجع السابق ،ص ص 105-106

4 – علي زيغور : الفلسفة في الهند ، مؤسسة عز الدين للطباعة النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1993 م،ص230

،ومن خلال هذا التطور ذهبت البوذية إلى رجعة ثانية إلى الأرض ليعيد السلام والبركة إليها [1].في تشابه كبير بينها وبين الديانات السماوية التي تقول بعودة المسيح ثانية إلى الأرض، ويقولون "إنه في الأيام الأخيرة يأتي .. وأن المقصود من مجيئه إلى هذا العالم هو إعادة النظام والسعادة إلى هذه الدنيا."[2]

4–عند الزرادشتية:

ظهرت هذه الديانة في إيران على يد زرادشت، الذي تذهب معظم الروايات إلى أنه ولد(سنة660ق.م) وكتابها المقدس هو الأبستاق* (زند افستا)[3].وجوهر عقيدته هي الإيمان بأهور امزدا الإله الذي ينسب إليه كل خير ولا تنسب إليه الشرور، في مقابل: أهرمان؛ الذي ينسب إليه الزرادشتيون كل شر في العالم، وعلى الرغم من الثنائية المقررة ههنا بين إرادتين:إرادة الخير وإرادة الشر؛ إلا أن الزاردشتية لا تعتقد إلا بإله واحد.[4] وحول فكرة تغلب إرادة الخير على إرادة الشر تدور عقيدة مجيء من ينتصر على أهرمان في آخر الزمان وهو المخلّص. ويعتقد الزرادشتيون بأنه سيخرج من صلب زرادشت في فترات مختلفة ثلاثة من النبيين ينشرون تعاليمه في أطراف العالم، ويحل يوم الحساب الأخير.

يقول الشهرستاني: "ومما أخبر به زرادشت في كتاب زند أوستا أنه قال: سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه "أشيزريكا،" ومعناه: الرجل العالم يزين العالم بالدين، والعدل، ثم يظهر في زمانه "بتياره،" فيوقع الآفة في أمره، وملكه عشرين سنة، ثم يظهر بعد ذلك أشيزريكا على أهل العالم، ويحي العدل، ويميت الجور، ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأول، وتنقاد له الملوك، وتتيسر، وينصر الدين والحق، ويحصل في زمانه الأمن والدعة، وسكون الفتن، وزوال المحن".[5]

5– في الديانة اليهودية:

إذا عرجنا إلى جذور فكرة المخلص المنتظر عند اليهود في التاريخ نجد أن للفرس نصيبا في تشكيل أساسياتها فقد كان الفرس قديما على علاقة حسنة باليهود حيث سمح لهم المللك الفارسي كورش بالعودة ثانية إلى

---

1 – مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان المذاهب الأحزاب المعاصرة ، دار الندوة العالمية للطباعة و النشر التوزيع ، الرياض ، السعودية ، ط3 ، 1418هـ، ص769

2 – محمد بن طاهر التنير البيروني : العقائد الدينية في الديانة النصرانية ،دار الصحة للنشر ، القاهرة،ص167

3 – جمشيد يوسفي :الزرادشتية–الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة–، منشورات زين، بيروت، الوسام العربي الجزائر، 2012م ص.27

4 – الشفيع الماحي أحمد : زرادشت الزرادشتية ، منشورات حوليات كلية الأداب و العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، الحولية رقم 21 ، الرسالة رقم 160 ،2001 م،ص38 وما بعدها

5 –الشهرستاني:المصدر السابق، ص ص 284–285

* الإبستاق:هو كتاب الرسول الفارسي زرادشت الذي يعد الكتاب المقدس لدى أتباع الديانة الزرادشتية

فلسطين والعمل على إعادة بناء المملكة اليهودية وهذا الموقف يفسر لنا قيام اليهود بدراسة العقيدة الدينية الفارسية ، حتى أنهم استعاروا من الديانة الزرادشتية اتقادا بمجيء المخلص ، إذ أن كثير من نصوص الديانة الزرادشتية تضمنت بشائر عن ظهور مصلح عالمي لكل الوجود فقد عرف الفرس فكرة المهدي المنتظر ، وانتشرت في التراث الديني العبراني من خلال عقيدة (المسيح المخلص) التي قامت على أساس هذه الفكرة [1]،ولكن الأمر الذي بلور لديهم فكرة المخلص المنتظر وازداد تطلعهم في منقذ هو ضعف مملكتهم وهزيمتهم أمام أعدائهم وتعرضهم للاضطهاد[2]،وهكذا أخذ اليهود يتأملون ظهور مخلص لهم بوصفه بطلا وطنيا من سلالة الملك داود وهو وحده الذي يتمكن من إعادة مملكة اليهود مثلما كانت عليه في عهد داود وسليمان –عليها السلام ،ويبدو انه كلما ازدادت الضغوط الاجتماعية على اليهود وتطلعاتهم تستند إلى ظهور المسيح ليخلصهم ويبدد عذابهم وأحزانهم[3]

...ويعد الإيمان بعودة المخلص عقيدة ثابتة في التصور الديني اليهودي فقد ورد في العهد **القديم*** اسم **الماشيح*** والاعتقاد بعودته[4]،ولقد سجل التاريخ اليهودي أسماء لأشخاص ادعوا المهدوية لاسيما اليهود في بلاد فارس على إثر شيوع فكرة المهدي المنتظر في الإسلام من بينهم:

–الألفان (في السامرة)[5] :وهذا الرجل اليهودي سمي (الألفان) ظهر في السامرة ، وكانت فرقة السامرة تؤمن بأن التوراة بشرت بنبي واحد يأتي بعد موسى –عليه السلام ،وهذا الرجل يقال له (الألفان)،وعندما ظهر زعم أنه الذي بشر به موسى –عليه السلام واليهود عامة يعتقدون بخروج واحد في أخر الزمان وهو (كوكب مضيء تشرق الأرض بنوره) وهم على انتظاره ،والسبت يوم خروج ذلك المنتظر[6]ويبدوا أن الرجل صنيعة فرقة السامرة وعن طريقه نشروا معتقداتهم بمجيء المخلص الموعود

1 – المودودي أبو الأعلى: موجز تاريخ تحديد الدين إحيائه،دار الفكر الحديث ،لبنان ،ط2 ، 1967م ص59

2 – مظهر سليمان : قصة الديانات ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995م ،(د.ت) ، ص358

3 – شلبي أحمد : مقارنة الأديان (اليهودية) ، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ، ط2 1988م ،ص190

4 – رابحي رضوان :إطلالة على ظاهرة المهدوية في المغرب الأقصى الوسيط والحديث–مقارنة بين اليهود والمسلمين "–دورية كان التاريخية، العدد33 ،سبتمبر 2016، ص ص 90–98

5 – ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774هـ/ 1372م) : البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن محسن التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 1997م ص 372

6 – الخطيب عبد الكريم : المسيح في القرآن التوراة الإنجيل ،دار الكتب الحديثة ، ظ1 ،1966م،ص525

–رجل يهودي (في بلاد فارس) :لم تذكر المصادر اسمه وقد ظهر ببلدة (شرين)في بلاد فارس أوائل القرن الثامن الهجري/الثامن الميلادي مدعيا أنه المسيح المنتظر وواعدا اليهود بأنه يحقق معجزة استعادة فلسطين لهم ، وإعادتهم إليها[1]

–عوميد الوهيم (في بلاد فارس) :رجل يهودي من أصل فارسي ، ومعنى (عوميد الوهيم) في اللغة العربية (عابد الله)وعرف بـ (أبي عيسى) ظهر بمدينة أصفهان في بلاد فارس أوائل القرن الثامن الهجري/الثامن الميلادي وأدعى أن المسيح المنتظر بقوله معتمدا على أسلوب القوة " أن عودة فلسطين لن تتم إلا على أسنة الرماح " وعلى أساس إدعائه ودعوته أعد جيشا من اليهود قوامه عشرة ألاف جنديا منتهزا الاضطرابات التي كان يعانيها العالم الإسلامي جراء سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية عام (132هـ/735م).....عند تسلم أبي جعفر المنصور الخلافة (136هـ-158هـ/753م-774م) وجه ضربة قوية إلى جيش (أبي عيسى) وبعد القضاء على جيشه فر إلى الشمال بالعراق قائلا:"سيتعاون مع قائد يهودي من أتباعه متخفي هناك على القتال من أجل استعادة فلسطين ، وتحقيق الوعد الإلهي لشعب الله المختار[2]

6– في الديانة النصرانية:

إن جوهر النصرانية هو العقيدة الخلاصية والتي تقول أن المسيح قد نال من الله قوة إلهية بحكم كونه مخلصا[3] ومن الواضح أن فكرة المنقذ والخلاص في الفكر الديني المسيحي هي استمرار للفكرة في الفكر الديني اليهودي مؤداها عودة المسيح عيسى– عليه السلام في أخر الزمان مرة أخرى لإنقاذ العلم بعدما ضحى بنفسه تكفيرا عن خطايا البشر[4]،وسيكون هذا المجيء قبل النهاية فقد جاء في الإنجيل" أن الشيطان سيهجم قبل النهاية بقليل على ملكوت الله للمرة الأخيرة بكل ما لديه من قوة وسلطان ويقوم في ذلك الوقت أنبياء كذبة ويحملون على الشر أعداد كثيرة من الناس ، وفي الوقت يتقدم المسيح الدجال إنسان الخطيئة في هيكل الله ويرى نفسه أنه هو الله ...ولكن المسيح عند مجيئه يسحقه بقوته الإلهية[5] ،وفي هذا السياق قال ول ديورانت في قصة الحضارة "كان ثمة عقيدة مشتركة وحدت الجماعات المسيحية المنتشرة في أنحاء العلم ، وهي أن المسيح (ابن الله) أنه سيعود

1 – دروزة محمد عزه : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ،ج1 ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، مصر،ص71

2 – الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت548هـ/1153م): الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1993م ،ص ص 214-215

3 –ناصر صديقي:المرجع السابق ص 11

4 – نبيل أنسى الغندور :المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية، مكتبة النافذة، القاهرة،2007م، ص149

5 –ناصر صديقي: المرجع نفسه ،ص110

ليقيم مملكته على الأرض وأن كل من يؤمن به سينال النعيم المقيم في الدار الآخرة[1] ،ويبدو من خلال الموازنة أن فكر نزول المسيح في أخر الزمان موجودة في الفكر الإسلامي ، وهذا النزول يتزامن مع ظهور المهدي ، أما طبيعة هذا النزول ففيه عند المسلمين مواضع اختلاف وتطرق إله بوضوح في البشارات القرآنية والحديث النبوي الشريف

1 -الخطيب عبد الكريم : المرجع السابق ، ص533

المبحث الثالث : المهدوية في التراث الإسلامي

1-المهدي المنتظر عند أهل السنة:

يعتقد أهل السنة والجماعة في حتمية ظهور المهدي المنتظر، فهو عندهم بشر من البشر، ليس بنبي ولا معصوم، فهو رجل من آل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلحه الله في ليلة حاكم عادل يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، يخرج في وقت تكون الأمة أحوج ما تكون إليه فيحي السنة، ويزيل الجور، ويبسط العدل. ولإثبات عقيدتهم في المهدي المنتظر استند أهل السنة والجماعة إلى ما دلت عليهم مصادرهم وآثارهم المتنوعة التي نصت على ظهوره مع العلم أنهم لم يستدلوا لظهور المهدي المنتظر بالقرآن الكريم بل بما ورد في السنة النبوية الشريفة.

لقد امتلأت كتب الحديث بأحاديث دلت على أن المهدي المنتظر من ولد الحسن وليس من ولد الحسين .منها هذا الحديث التالي«حدثنا أبو موسى عن الحسن سمع أبا بكرة سمعت النبي — صلى الله عليه وسلم – على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[1] «كما أخرج يوسف السلمي في كتابه « عقد الدرر في أخبار المنتظر» عن الأعمش عن أبي وائل، قال : نظر علي إلى الحسن عليهما السلام فقال: إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله– صلى الله عليه وسلم « سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جور»[2].

أكدت أغلب الروايات التي ذكرت المهدي السني أنه ينسب إلى أبيه المسمى (عبد الله) منها الأحاديث التي وردت في سنن أبي داود والترمذي ومسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان والمستدرك للنيسابوري والمعجم الكبير والأوسط والصغير للطبراني، نذكر مثلا: هذه الرواية: عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم قال زائدة في حديثه لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»[3]. أما رواية الترمذي فنجدها كالتالي :«عن عبد الله –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[4].

---

1 –أخرجه البخاري في الجامع الصحيح ،حديث 322

2 السلمي (يوسف بن يحي):عقد الدرر في أخبار المنتظر، تح: الشيخ مهيب بن صالح بن عبد الرحمن البوريني،ط2 ، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء 1410هـ/1989م ،ص ص 59-60

3 –أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المهدي، حديث رقم 765 قال الألباني حديث حسن صحيح.

4– أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، أبواب الفتن52 باب ما جاء في المهدي، حديث رقم: 2230 ، ص4 ، قال أبو عيسى : وهذا حديث حسن صحيح

–وقد جاء في بعضها صفاته الجسدية منها الحديث التالي:

« عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «: المهدي مني أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا ،كما ملئت ظلما وجورا، ويملك سبع سنين»[1].

أما عن الأحاديث التي دلت على ظهور المهدي السني بعد طلب الناس ودعائهم بالفرج. نذكر مثلا ما ورد في « عقد الدرر» : عن أبي جعفر بن على عليهما السلام قال »: يا جابر، لا يظهر القائم حتى يشمل الناس بالشام فتنة، يطلبون المخرج منها فلا يجدونه»[2].

أما وقت ظهوره فسيكون عند العشاء بعد حضور خواصه الثلاثمائة والثلاثة عشر. ورد في «عقد الدرر» ما يلي: « حدثنا سعيد أبو عثمان، عن جابر، عن أبي جعفر عليهما السلام قال: يظهر المهدي بمكة عند العشاء، ومعه راية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – »[3] .

2– المهدي المنتظر عند الشيعة :

عرف التراث الشيعي في جل تياراته حضورا لافتا لفكرة المهدوية خاصة لدى الإسماعيلية و الإثني عشرية وتجدر الإشارة في الحديث عن المهدي المنتظر عند الشيعة الإسماعيلية والإثني عشرية حيث خصصوا لهذا المبحث إطارا نظريا ثريا وأصلوا للفكرة علميا ودينيا وحشدوا لها رويات وأخبار وأثار عديدة وتكلموا في عقيدة العودة لإمامهم الثاني عشر الذي يشار إليه في كل مقام تصريحا أو تلميحا .

أما الإمامية فيرون أن الإيمان بصحة الدين الإسلامي وبأنه خاتم الأديان يقتضي انتظار هذا المصلح (المهدي) لإنقاذ العالم ،وهذه الفرقة تعتقد أن هذا المصلح هو شخص معروف ولد سنة 55 هجرية ولا يزال حيّا. وهو ابن الحسن العسكري واسمه (محمد) ويحتجون على ذلك بما تواتر عندهم من ولادته واحتجابه. ولإثبات عقيدتهم في المهدي المنتظر استند الشيعة الإثني عشرية إلى ما دلت عليه مصادرهم المتنوعة. ومن هذه الآيات والروايات الدالة على ظهور المهدي المنتظر الشيعي الإمامي وقد إستشهدو في دعم فكرتهم بنصوص من القرأن الكريم نذكر منها :

1 –أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، أبواب الفتن، باب حديث رقم 2232 ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن

2 –السلمي يوسف بن يحي: عقد الدرر في أخبار المنتظر، تح :الشيخ مهيب بن صالح بن عبد الرحمن البوريني،ط2 ، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء 1410هـ/1989م، ص 221

3 – السلمي: المصدر نفسه ،ص 217

تفسير الشيخ الطبرسي في كتابه «مجمع البيان» قوله تعالى في سورة الأنبياء «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون»[1] يقصد من ذلك « أن الأرض يرثها عبادي الصالحون» بأنهم أصحاب المهدي عليه السلام آخر الزمان[2]

أما في سورة البقرة وفي قوله تعالى:« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون» قال الشيخ الطبرسي « الذين يؤمنون بالغيب» قيل: «ما غاب عن العباد علمه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة. وهذا أولى لعمومه، ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان غيبة المهدي عليه السلام ووقت خروجه[3]»وفي سورة النور أيضا قوله تعالى:« ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »[4] قال الشيخ الطبرسي:« واختلف في الآية..والمروي عن أهل البيت عليهم السلام أنها في المهدي من آل –محمد صلى الله عليه وسلم– وروى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قرأ الآية وقال:هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا، وهو المهدي، وهو الذي قال رسول الله —صلى الله عليه وسلم: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي، إسمه إسمي، يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا »[5] وهذه بعض الآيات التي رأى الشيعة الإثني عشرية بأنها تدل على علامات ظهوره وخروجه والوعد بخروجه عليه السلام، وأصلوا للمهدوية من داخل مرويات الحديث المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم فقد وردت في مصنفاتهم رويات وأحاديث التي تضمنتها كتبهم الحديثة.

كثيرة هي الروايات والأحاديث التي وردت في الكتب الحديثة التي تحدثت عن المهدي المنتظر وهذه بعض الأحاديث التي وردت في كتاب الكافي للإمام الكليني أحد أبرز المحدثين الإماميين ومن ذلك ما ورد في الكافي «كتاب الحجة» باب « مولد الصاحب عليه السلام «الحديث «رقم1» ما يلي: « عن الحسين بن محمد الأشعري، عن معلّى بن محمد، عن أحمد بن محمد قال: خرج عن أبي محمد عليه السلام حين قتل الزبيرى قائلا: هذا جزاء من افترى على الله في أوليائه، زعم أنه يقتلني وليس لي عقب فكيف رأى قدرة الله، وولد له ولد سماه «م ح م د» سنة ست وخمسين ومائتين»[6].

1 –سورة الأنبياء الآية : ص 105

2 – الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، ط 1،دار المرتضى، بيروت، لبنان،1427هـ/ 2006م ،ص 88

3 – الطبرسي: المصدر نفسه،ص 50

4 –سورة النور الآية : ص55

5 –الطبرسي: نفسه، ص 195

6 –الكليني محمد بن يعقوب: الكافي،ط ،1منشورات الفجر بيروت لبنان، 2007 م /1428هـ ص 318

أما بخصوص غيبة الإمام المنتظر :ورد في كتاب» الحجة» ، باب» الغيبة» الحديث «رقم **1**»ما يلي: « عن محمد بن يحي والحسن بن محمد جميعا، عن جعفر بن محمد الكوفي، عن الحسن ابن محمد الصيرفي، عن صالح بن خالد، عن يمان التمار قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جلوسا فقال لنا: إن لصاحب هذا الأمر غيبة المتمسك فيها بدينه كخارط للقتاد* –ثم قال هكذا بيده– فأيكم يمسك شوك القتاد بيده؟ ثم أطرق مليا، ثم قال: إن لصاحب هذا الأمر غيبة فليتق الله عبد وليتمسك بدينه[1]»

أما بخصوص خروج الإمام المنتظر نجد ماورد في كتاب « الروضة» باب «حديث الناس يوم القيامة» حديث رقم:181 ما يلي:«عن سهل بن زياد عن ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون، عن الطيار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» قال: خسف ومسخ وقذف. حتى يتبين لهم؟ قال: دع ذا ذاك قيام القائم»[2]. ،وهكذا فإن الاستدلال الشيعي الإثني عشري على حتمية ظهور الإمام المهدي ثبتت عندهم بالدليل النقلي من القرآن الكريم والأحاديث الواردة في شأنه فالروايات الشيعية في أغلبها دلت على حتمية ظهور القائم عند الإمامية فهو بالنسبة إليهم المهدي المنتظر الذي ولد وغاب وسيعود.

أما الشيعة الإسماعلية بفرقتيهما القرامطة والفطميين فقد تكلموا في ذات الموضوع وإن اختلفوا مع الإثني عشرية في تحديد شخص المهدي ، حيث ادعوا أن حفصون إبن جعفر لكن الفاطميين إستمروا في سلسلة الأئمة إلى غاية عبيد الله المهدي وأبنائه في حين بقي القرامطة على إسماعيل وإبنه ، اما الإثني عشرية فقد نقلوا الإمام إلى موسى الكاظم إبن جعفر الصادق لما تحققوا من موت إسماعيل في حياة والده وانتهت سلسلتهم حتى محمد بن الحسن العسكري.

1 –الكليني: المصدر السابق، ن.ص

*القتاد: نبات صلب له شوك كالإبر من الفصيلة القرنية (موقع المعاني، www.almany.com، 22 أفريل 2024 على الساعة 20:00 م)

2 –الكليني : المصدر نفسه،ص206

الفصل الثاني : المهدوية والدعوة الشيعية في بلاد المغرب الإسلامي(270هـ-362هـ)

المبحث الأول : الأوضاع السياسية لدول المغرب الإسلامي قبل قيام الدولة الفاطمية

المبحث الثاني : المهدوية والدعوة الإسماعيلية ببلاد المغرب الإسلامي

المبحث الثالث : سلطة الشيعة الإسماعيلية وسياستها المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول : الأوضاع السياسية لدول المغرب الإسلامي قبل قيام الدولة الفاطمية

تميز الفتح الإسلامي لشمالي إفريقية، الذي بدأ في عام (22 هـ/643م) وانتهى في عام (86هـ/705م) ، بكثرة الصعوبات التي واجهته ، إذ لم يتمكن الفاتحون من السيطرة على المنطقة إلا بعد أن تغلبوا على الجيوش البيزنطية ، واستعادوا مدينة قرطاجة في عام (79هـ/698م)، وأخمدوا المقاومة البربرية المستميتة إثر وفاة الكاهنة في عام (82هـ/701م) ،وصار البربر في شمال إفريقية نواة الجيوش الإسلامية التي أتمت فتح بلاد المغرب ، وفتحت الأندلس .

وتناوب على حكم المنطقة ولاة أمويون ثم عباسيون [1] ، بداية عصر من الولاة بدءا من عام بدءا من سنة 98هـ،والذي كان عصر ميزته قلاقل واضطرابات، بعدما اختار سليمان ابن عبد الملك يزيد بن أبي مسلم واليا على إفريقية،وكان شديدا كالحجاج وأراد أن يسير فيهم سيرة الحجاج في أهل العراق ؛فكانت النتيجة أن قتلوه ،ومن بعده لم يستقر أمر ولاة إفريقية في عصر بني أمية ، وشهد المغرب الفتنة المغربية الكبرى التي تمخضت في العصر العباسي ، حتى وصلت إلى استقلال الولايات الإفريقية ، وإقامة دول مستقلة فيها.

انتشر الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي و برزت الخوارج الصفرية في المغرب الأقصى وسيطرت عليه ، وظهرت الإباضية في المغرب الأدنى و الأوسط ، وأخضعت أجزاء واسعة لنفوذها ، وكان عبد الرحمان بن حبيب يقاتل الخوارج عندما قامت الدولة العباسية.

وفي عام 155هـ جاء يزيد بن أبي حاتم بن قبيصة بن الملهب بن أبي صفرة واليا على إفريقية فانتصر على الخوارج الإباضية والصفرية ، واستطاع أن يفرض نفوذ العباسيين في المغرب قبل نهاية حكم المنصور، وبقي يزيد بن حاتم في المغرب حتى 170هـ. [2]

ثم سادت الاضطرابات في إفريقية اعتبارا من عام 171هـ / 787م بفعل خروج الخوارج وقادة الجند البربر، فأرسل الرشيد هرثمة بن أعين واليا على إفريقية ، وأمره بقمع الإنتفاضات وتوطيد الأمن، فنجح في مهمته دخل القيروان وأمن الناس.

ويبدو أن الخلافات بين الفئات الإسلامية المتعددة كانت واسعة فتجددت القلاقل ،ولم يتمكن هرثمة من رأب الصدع ، فعزله الخليفة بناء على طلبه في عام 180هـ / 796م، كما لم يتمكن الولاة الذين جاءوا من بعده من السيطرة على الموقف ، فاستغل إبراهيم بن الأغلب عامل على إقليم الزاب هذه الأوضاع القلقة ، وطلب من

1 محمد سهيل طقوش:تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام 297_567هـ/910_1171م،ط 1 ،دار النفائس،بيروت ،لبنان،2008م،ص17.

2 محمود شاكر: التاريخ الإسلامي للدولة العباسية ، ط6، درا المكتبه الإسلامي ، بيروت ، ج1، 2000، ص ص 87-126

الخليفة توليته على إفريقية ووعده بتهدئة الوضع ، استجاب الخليفة لطلبه ، وعهد إليه بالولاية على إفريقية في عام 184هـ / 800م [1]، ونجح إبراهيم في تحقيق الاستقرار متبعا في ذلك سياسة معتدلة ، وازدهرت إفريقية في عهده وشهدت حركة عمرانية واسعة ونشاطا إقتصاديا كبيرا ، وقد مهد إبراهيم بذلك لقيام دولة الأغالبة التى ما لبثت أن استقلت عن الإدارة المركزية في بغداد ، واتخذت القيروان حاضرة لها[2]

والواقع أن العباسيين حرصوا على الاحتفاظ بولاية إفريقية بعدما فقدوا السيطرة على المغربين الأوسط و الأقصى لصالح الجماعات الخارجية ، لتكون سدا منيعا أمام حركات الخوارج بخاصة ، لكن هذه الولاية كانت تشهد هي الأخرى، اضطرابات ناجمة عن الخلافات بين الفئات الإسلامية المتعددة، ولم تستقر الأوضاع فيها إلا عندما تولى إبراهيم بن الأغلب الحكم فيها ، واستقل بها استقلالا جزئيا عن الخلافة العباسية.

والواضح أن الثورات المتعددة التي شهدتها شمال إفريقية، وتراجع السلطة المركزية المشرقية ساعد في بروز وحدات سياسية استقلت ، كل منها ،بناحية من المغربين الأوسط و الأقصى بالإضافة إلى ولاية إفريقية، قادها جماعات من الطامعين أو القادرين على الوصول إلى الحكم ، من عرب وبربر ، وذلك خلال القرن الثاني الهجري / القرن الثامن الميلادي، أهمها : الدولة المدرارية أو دولة بني واسول ، والدولة الرستمية ، ودولة الأدارسة ، والدولة الأغلبية[3].

1- الدولة المدرارية أو دولة بني واسول:(140_296هـ/ 757_909 م)

ساهمت الظروف السياسية التي مر بها إقليم المغرب عقب نجاح الثورة التي قادها ميسرة المضفرى الصفرى ضد الدولة الأموية سنة(122هـ_740م) في استقلال المغرب الأقصى وانفصاله عن الحكم الأموى, إلى جانب اضطراب الأوضاع في إقليمي المغرب الأوسط و الأدنى في قيام تجمع مذهبي في جنوب المغرب الأقصى هو تجع الصفريين الذين وجدوا بمنطقة سجلماسة المجال المناسب لإقامتهم ، ثم أسسوا مدينة تحمل اسم المنطقة , لتكون نواة لدولة صفرية [4]، حيث التفوا في البداية حول رجل اسمه عيسى ابن يزيد الأسود المكناسي الصفري وكان صاحب ماشية ونزل بأرض سجلماسة في 138 هـ واجتمع حوله الناس ثم بايعه أبو القاسم بن واسول المكناسي الزناتي وحمل قومه على طاعته ، ثم شرعوا في بناء سجلماسة سنة 140 هـ[5]. ، غيران أهل سجلماسة أنكروا على

1 أحمد بن أبي يعقوب:تاريخ اليعقوبي،تح:عبد الأمير مهنا،ط1،شركة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،2010م،مج2 ،ص ص،58_59.

22 محمد الطالبي :الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184_296هـ/800_909م،ط 2 ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،1995م،ص ص،65_128.

3 محمد سهيل طقوش: المرجع السابق،ص،19

4 حسن على حسن:المغرب الإسلامي(122_923هـ)،دار السفير،القاهرة،2008م،ص 40

5 ابن خلدون : المقدمة ،المصدر السابق،ج 1،ص ص ،171_172.

زعيمهم عيسى بعض الأمور فربطوه إلى جذع شجرة وطلوه بالعسل حتى قتله النحل سنة 155هـ ، بينما قال ابن الخطيب بوقوع ذلك سنة 167 هـ[1] وعن ذلك يقول ابن عذاري المراكشي : كان أبو القاسم سمعون بن واسول المكناسي صاحب ماشية كثيرة . ينتجع موضع سجلماسة، ويتردد إليها وكان براحا يجتمع الناس فيه من قبائل البربر المجاورين له يتسوقون فيه . فاجتمع قوم من الصفرية على أبي القاسم، وسكنوا معه هنالك في خيمات . ثم شرعوا في البناء في حدود الأربعين ومائة (140) هـ) . ثم قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الأسود وولوه أمرهم . ثم أنكروا عليه أشياء فأخذوه وشدوا وثاقه وربطوه إلى شجرة في رأس جبل، وتركوه حتى مات >>[2].

تولى بعد ذلك مقاليد الأمور بعده أبو القاسم سمعون بن واسول المكناسي الملقب بمدرار على رواية ثلة من المؤرخين[3]،غير أن ابن الخطيب قال بان الخطاب الصفري الزناتي هو من تولى بعده ، وكان داهية في حسن تدبيره[4] ، وقد م أبو القاسم سمغون ابن واسول المكناسي (مدرار) من 155 إلى 168 هـ في رواية ابن عذاري[5] ، بينما حددها ابن خلدون سنة 167 هـ والتف الناس حوله. خلفه ابنه إلياس الملقب بالوزير سنة 167هـ لكن أهل سجلماسة ثاروا عليه وخلعوه سنة 174 هـ .

تولى أخاه اليسع الملقب بابي منصور الحكم ويعتبر هو المؤسس الحقيقي للدولة فبنى الأسوار واختط بها المصانع والقصور وكثرت الغلآت والمحاصيل فعمر سجلماسة ودان له البربر وصارت لدولته هيبة وسطوة ، وقد ذكر ابن خلدون بعض أخبار هذا الحاكم بقوله : « وولوا مكانه أخاه اليسع بن أبي القاسم وكنيته أبو منصور فلم يزل أميرا عليهم وبنى سور سجلماسة لأربع وثلاثين سنة من ولايته وكان اباضيا صفريا ، وعلى عهده استفحل ملكهم بسجلماسة وهو الذي أتم بناءها وتشييدها واختط بها المصانع والقصور وانتقل إليها آخر المائة الثانية ودوخ بلاد الصحراء وأخذ الخمس من معادن درعة ، وأصهر لعبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت بابنه مدرار في ابنته أروى فأنكحه إياها"[6].

بعد وفاة اليسع تولى ابنه المدرار الملقب بالمنتصر سنة 208 هـ وتزوج ببنت عبد الرحمان بن رستم فمال إليهم فخلعه قومه وولوا ابنه ميمون سنة 253 هـ الذي تولى الإمارة حتى خلفه ابنه محمد سنة 263 هـ ثم تولى

1 ابن الخطيب الغرناطي: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (القسم الثالث) ، تحقيق: أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب .ص ، 139

2 ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار إفريقية والمغرب ،تحقيق ،ليفي بروفسينال و ج.كولان، ط 3 ،دار الثقافة ، بيروت ، 1983م،ج 1، ص،156.

3 إبن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق، ص ، 172.

4 ابن الخطيب الغرناطي : المصدر السابق ، ص ، 139.

5 ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ،156.

6 ابن خلدون : المقدمة ، المصدر السابق ، ص ، 172 .

عمه اليسع سنة 270 هـ وهو من سجن عبيد الله المهدي عند قدومه للمغرب فزحف أبو عبد الله الشيعي على سجلماسة وقتل اليسع سنة 296 هـ ، ويقر ابن عذاري المراكشي بأفول نجم دولة المدراريين صراحة على يد أبي عبد الله الشيعي هذه السنة بقوله : « ثم زحف إليه الشيعي من أفريقية، وفر أمامه، وخرج عبيد الله من سجلماسة من سجنه واستولى على المملكة. ثم ظفر به في سنة 296 هـ ، فقتله، فكانت مدة اليسع ابن مدرار المذكور بسجلماسة سبعا وعشرين سنة . وانقرضت دولة بني مدرار[1].

2-الدولة الرستمية:(160_296هـ/ 776_908م)

دخل الخوارج بقيادة أبي الخطاب في حرب ضروس مع الخلافة العباسية انتهت بمقتل زعيم الأباضية أبي الخطاب سنة 144 هـ ، وكان عبد الرحمان بن رستم يتأهب رفقة جيشه لتقديم المدد لزعيمه أبي الخطاب لكنه لما سمع بمقتله تراجع إلى المغرب الأوسط [2]البعيد عن النفوذ العباسي واستقر بجبل سوفجج المحصن طبيعيا (قرب تيهرت) فتسامع به علماء الأباضية فقصدوه والتفت حوله قبائل هوارة ولواتة ، ثم لحقت به قوات العباسيين بقيادة ابن الأشعث وحاصرته فطال الحصار وسئم الجند العباسيون وفشى فيهم الطاعون وهلك عدد منهم ففكوا الحصار[3]، وبذلك خلا الجو لعبد الرحمان بن رستم واجتمع حوله الناس والعلماء والفضلاء ثم أسس مدينة تاهرت لتكون عاصمة لملكه سنة 144هـ وأسس بها مسجدا جامعا ثم اقبل الناس على بناء الدور والقصور والحمامات والفنادق والحوانيت والأسواق فعمرت المدينة.

وعن اجتماع الساكنة حول عبد الرحمان بن رستم يقول ابن الصغير المالكي "فاجمعوا رأيهم على ذلك ثم نهضوا إليه بأجمعهم وقالوا يا عبد الرحمن رضيك الإمام في ابتدائنا[4] ، ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على أنفسنا فقد علمت انه لا يصلح أمرنا إلا إمام نلجأ إليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا . فقال لهم إن أعطيتموني عهد الله وميثاقه لتستطيبوا إلي ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه . قبلت ذلك منكم . فأعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه مثل ما شرط عليهم وقدموه على أنفسهم والقوا إليه بأيديهم ، فسار بهم سيرة جميلة حميدة أولهم وآخرهم ولم ينقموا عليه في أحكامه حكما ولا في سيره سيرة ، وسارت بذلك الركبان إلى كل البلدان"[5].

---

1 ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ، 157 .

2 النوري :نهاية الأرب في فنون الأدب،تح:علي بوملحم ،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،2004م،ج24،ص ص ،588_589.

3 عصام الدين عبد الرؤوف الفقي : تاريخ المغرب والأندلس،المطبعة التجارية الحديثة ،القاهرة،مصر،1990م،ص ص ،152_153.

4 ويقصدون أبا الخطاب المعافري لما عين عبد الرحمان بن رستم واليا على القيروان في 141هـ.

5 ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين ، تح :محمد ناصر و إبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،د.ت ، ص ص ، 26_27.

كان عبد الرحمان بن رستم من أصل فارسي قدم إلى المغرب مع العرب الفاتحين واستقر بالقيروان ودرس على يد علماتها واعتنق الأباضية ، ولم تتم مبايعته بالإمامة إلا في سنة 160 هـ بعد أن أرسى قواعد دولته ورسخ دعائمها ودانت له قبائل المنطقة وساد الأمن والسلام وكان إماما عادلا غير مستبد برأيه مستشير لأصحابه ، وأسس مجلسا للشورى وكان زاهدا في عيشه متواضعا لقومه . وقبل وفاته سنة 171 هـ اقتدى بعمر بن الخطاب وعين سبعة من خيرة رجال دولته و أوكل إليهم مهمة اختيار الحاكم من بعده وقد اختاروا ابنه عبد الوهاب وبايعوه بالإمامة [1].

غير أن هناك من لم يقبل بالوضع الجديد تحت إمرة الحاكم الجديد (عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم) حيث قام يزيد بن فندين بالطعن في إمامة عبد الوهاب وأنكر إمامته وبذلك ظهرت فرقتا النكارية[2] والوهبية[3] ودخلوا في حرب انتهت بهزيمة النكارية ومقتل ابن فندين ، وبقي الخلاف بين الفرقتين ، كما حاولت قبيلة هوارة الخروج عن طاعة عبد الوهاب وبعدها ساد الهدوء والاستقرار الدولة وامتد نفوذه حتى طرابلس وتوفي عبد الوهاب سنة 211 هـ[4].

لقد ذكر ابن الصغير بعض أوصاف عبد الوهاب بن عبد الرحمان و فضائل أعماله بقوله : « وكان عبد الوهاب هذا قد اجتمع له من أمر الاباضية وغيرهم ما لم يجتمع للاباضية قبله ، ودان له ما لم يدن لغيره واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لأحد قبله ، ولقد حكى لي جماعة من الناس انه قد بلغت سمعته إلى أن حاصر مدينة طرابلس وملا المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان ، فلم يزل كذلك وعلى ذلك وأمور الناس مجتمعة وكلمتهم واحدة لا خارج عليه ولا طاعن إلى أن حدثت الفرقة .... وكان لعبد الوهاب كتاب معروف بمسائل نفوسة الجبل ، لان نفوسة كتبت إليه في مسائل عليها فأجابها عن كل مسالة مما سالت عنه ، وكان هذا الكتاب في أيدي الأباضية مشهورا عندهم معلوما يتداولونه قرنا عن قرن [5]".

بعد وفاة عبد الوهاب بن عبد الرحمان اجتمع أهل الشورى واختاروا افلح بن عبد الوهاب وبايعوه لورعه وتقواه وحسن سيرته التي يقول عنها الدرجيني في كتابه طبقات المشائخ بالمغرب : "ولما توفي عبد الوهاب تدانى العدة من تاهرت طمعا في الاستيلاء عليها ورجوا الظفر بها وبأهلها لما ظنوه من عجزهم عن المدافعة إذا أضحوا

1 عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ص ص ص،538_539._547_550.

2 النكارية هم أتباع يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري وسموا كذلك لإنكارهم إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم وثاروا عليه.

3 الوهبية هي الإباضية الأم الحاكمة في دولة بني رستم وهي نسبة إلى الإمام الرستمي الثاني عبد الوهاب بن رستم وظهرت هذه التسمية اثر فتنة النكار.

4 عبد العزز سالم :المرجع السابق ،ص ص ،551_552.

5 ابن الصغير : المصدر السابق ، ص ص،38_39.

بلا إمام فابتدر جماعة أهل الدعوة فبايعوا أفلح بن عبد الوهاب فعقدوا له الإمامة فكان ميمون النقيبة فسكن به الله البلاد ووقيه من الفساد"[1].

اعتنى افلح بن عبد الوهاب بدولته وعدل في رعيته فانتشر الأمن وازدهرت الدولة وقضى على ثورة خلف بن السمح كما نشبت ثورة أخرى بقيادة فرج النفوسي وبدا يثير الفوضى فحذره الإمام أفلح وتوعده ففر هذا الثائر إلى بغداد إلى أن توفي في 240 هـ[2].

تولى الإمامة أبو بكر بن افلح وعن سيرته يقول ابن الصغير : " فلما ولي أبو بكر لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه ، ولكن كان سمحا جوادا لين العريكة يسامح أهل المرؤات ويشايعهم على مرؤاتهم ويحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين .... وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة ، وكان وسيما جميلا جوادا سمحا .... وكان لابن عرفة هذا أخت أو بنت أجمل منه فخطب إليه أبو بكر بن افلح ودخل بها .... فكانت الإمارة بالاسم لأبي بكر و بالحقيقة لمحمد بن عرفة "[3].

كان أبو بكر بن افلح يميل إلى الراحة والخمول فانغمس في الترف و اللهو وأوكل مهمة التواصل مع رعيته لصهره ابن عرفة الذي ازداد نفوذه وتعززت مكانته ثم كثر استبداده فأمر الإمام أبو بكر احد غلمانه فقتله بعد أن دارت وقيعة بين الفريقين ودخلت الدولة في فتنة وكثر القتل والحرق[4].

تولى الحكم سنة 241 أخوه أبو اليقظان محمد هـ وتمكن من إخماد الفتنة وفرض الأمان وساد الأمن وبسط العدل بين الناس واطمأن الناس على حياتهم ومعاشهم وبقي كذلك حتى توفي في 281هـ ، وعن سيرة هذا الإمام يقول الدرجيني :" حدث غير واحد من أصحابنا أن محمدا بن افلح أجمعت على توليته جماعة المسلمين ، فولوه على أنفسهم ، فلم يختلف عليه اثنان ، وبلغ الغاية في العدل والفضل والاقتداء بمن سلفه ، فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون أيامه وسيرته إلا بأيام جده عبد الرحمان بن رستم ، وذلك أنهم اتخذوا مجلسه كالمسجد. ومكث في إمامته أربعين سنة على هذا الحال . محمود السيرة مجتهدا في الصلاح قائما بالحق قاضيا بالعدل إلى أن علت سنه ورق عظمه ، وتوفي رحمه الله ، وله تأليف في الرد على أهل الخلاف لا يُشق فيها غباره ولا تياره " [5].

1 أبو العباس أحمد بن سعيد ،الدرجيني : طبقات المشائخ بالمغرب ، تح :إبراهيم طلاي ،مطبعة البعث ،قسنطينة ،د.ت،ج 1،ص ،72.

2 عبد العزيز بن سالم : المرجع السابق ، ص ص ،558_559_560.

3 ابن الصغير: المصدر السابق ،ص ص ،61_62.

4 عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ج 2 ،ص ، 559.

5- الدرجيني :المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص ، 83_84.

بعد وفاة أبي اليقظان محمد خلفه أبو حاتم يوسف بن محمد وكان إماما عادلا ورعا لكن كثرت في عهده الثورات والفتن فخرج عليه عمه يعقوب بن افلح في تاهرت وقامت ثورة في طرابلس بقيادة الطيب بن خلف فسقطت هيبة هذا الإمام فتأمر عليه أبناء اليقظان أخــوه من الأب فقتلــوه سنة 294 هـ .

بويع اليقظان بعد مصرع أخيه وتولى الإمامة والدولة مضطربة أمورها منقسمة على نفسها خاصة بعد قدوم الفاطميين وصاروا يهددون كيان الرستميين وفي سنة 296 هـ دخل أبو عبد الله الشيعي تاهرت وقتل أبا اليقظان ومن ظفر به وبني رستم وصادر أموالهم توجه إلى المكتبة المعصومة واخذ كتبها وبذلك زال حكم الرستميين وفر ما تبقى من ساكنتها إلى جبل الأوراس وصحراء المغرب والأوسط وجبل نفوسة وجزيرة جربة[1] .

3-دولة الأدارسة (172 _275هـ/788_985م)

الأدارسة نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب(رضي الله عنهم أجمعين) وقد فر إدريس الأول من الجيش العباسي بالمشرق على إثر هزيمة العلويين في معركة فخ يوم السبت الثامن من شهر ذي الحجة سنة 169هـ / 10 جوان 786م [2]ودخل إلى المغرب الإسلامي، وهناك روايتين لكيفية دخوله إلى بلاد المغرب والأقرب منها أنه دخل رفقة مولاه راشد عن طريق مصر حيث ساعده رجلا يدعى واضح مولى صالح بن المنصور ويُعرف "بالمسكين" وكان هذا الرجل يميل إلى العلويين حيث أمن له الطريق للوصول إلى القيروان ثم إلى مدينة تلمسان وارتحل بعدها إدريس إلى طنجة ونزل في مدينة وليلي سنة172هـ/789م وكانت هذه المدينة منطلقا لنجاح دعوته وتأسيس دولته[3]، وقد ساعدته قبيلة أوربة في ذلك عندما بايعوه بالإمامة في شهر رمضان سنة172 هـ / فيفري789 م ثم توالت القبائل الأخرى في مبايعته لحبهم لأهل البيت[4].

وفي حدود سنة 192هـ/808م عهد إدريس الثاني تم بناء مدينة فاس لتصبح عاصمة للدولة الإدريسية، وقد انتقل إليها الناس وعمروها وشيدوا مبانيها، وقد شملت دولتهم شمال المغرب الأقصى وبعض المدن من المغرب الأوسط كتلمسان وما جاورها[5].

اتبعت الدولة الإدريسية النظام الوراثي حيث حكمها أربعة عشر حاكما كلهم من نسل إدريس الأول، ويلاحظ على هذه الدولة أنها لم تنشأ على يد الدعاة، ولا كان لها تنظيم سري ولا حمل السلاح كما هو الحال

1- عبد العزيز سالم : المرجع السابق : ص ص ،563_564_565.

2- ابن خلدون :تاريخ إبن خلدون ،المصد السابق ،ج 4 ،ص ص ،10_11.

3- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ط 4 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،مج 5 ، 1987م، ص ،268. .

4- ابن خلدون : تاريخ إبن خلدون ، المصدر نفسه ، ص ص ،11.

5 ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ، 211 .

بالنسبة للصفرية والإباضية والعبيديين (الفاطميين)[1]، وبالنسبة للمذهب المتبع فالدولة الإدريسية لم تكن شيعية وإنما كانت تجمع بين التسنن والاعتزال في بداياتها الأولى، ثم طغى المذهب السني المالكي عليها فيما بعد، وقد كان إدريس الأول يقول نحن أحق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه وذلك الرواية الإمام في الموطأ عن والده عبد الله الكامل[2]، ومن الأدلة التي تثبت ذلك كون الأدارسة لم يرتكبوا أي أعمال إجرامية في حق أهل السنة كما فعل العبيديون الشيعة الروافض.

لقد بدأ الأدارسة بتنظيم جيشهم منذ أن وطأت أقدامهم أرض المغرب، فقد استطاع الإمام إدريس الأول بعبقريته وحسن قيادته أن يوحد القبائل البربرية ويؤلف قلوبهم وأن يجهز منهم جيشا استطاع بواسطته أن يستولي على المغرب، لقد كان الجيش في تلك المرحلة بربريا صرفا، وقد غلبت عليه ظاهرة التطوع، وفي عهد الإمام إدريس الثاني اتسعت دائرة التجنيد وتعددت جنسيات المتطوعين بانضمام العرب الوافدين من إفريقية والأندلس إلى صفوفه، وكذلك الفرس القادمين من العراق، وكانوا على مستوى عال من التدريب والكفاءة القتالية، وأكثرهم شارك في المعارك الدائرة في الأندلس ضد النصارى وفي المشرق ضد الروم البيزنطيين، فاكتسبوا مهارة قتالية جديدة زادت من كفاءة الجيش الإدريسي في المغرب ورفعت من معنوياته. وقد قسم الأئمة الجيش إلى مشاة وفرسان وحملة الأسلحة الثقيلة، أما المعارك فكان يخضع للنظام العسكري السائد في الجيوش الإسلامية فكان يتألف من ميمنة وميسرة وهما الجناحان وقلب، كان الجناحان يتألفان عادة من الفرسان، أما القلب فكان من صفوف الصف الأول ويحمل مقاتلوه الرماح لصد هجمات الفرسان، أما الصفوف الباقية فكانت تضم بقية المشاة، وخلف الجميع حملة الأسلحة الثقيلة. أما الأسلحة التي تزود بها الجيش فاختلفت باختلاف عناصره، وكان سلاح المشاة الدروع والسيوف والفسي والسهام والأقواس الطويلة والأطر والخناجر ويرتدون أردية صوفية خشنة بمثابة الدروع متدلية إلى ما تحت الركبة والسراويل والنعال أما الفرسان فكان سلاحهم السيوف والرماح والدرق اللمطية ويلبسون الدروع والخوذ الحديدية[3].

بالنسبة لنهاية الدولة الإدريسية بصفة نهائية فقد كان سنة 375هـ / 985م على يد العبيديون الذين هزموهم في سنة 296هـ / 909م فأعادوا بعث دولتهم ثم هزموهم سنة 305هـ / 917م ثم سنة 309هـ /

1 سعدون عباس نصر الدين : دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172_223هـ/788_835م ، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ،1987م ،ص ص ،115_116_117.

2 عبد الرحمان بن محمد الجيلاني : تاريخ الجزائر العام ،ط 4 ،دار الثقافة ، بيروت ، ج 1 ،1980م،ص ،186.

3 سعدون عباس نصر الدين : المرجع السابق ، ص ص ، 127_128.

921م، وفي سنة 313هـ / 925م مكنوا موسى بن أبي العافية المكناسي من الاستيلاء على دولتهم، وتوالت هزائمهم تباعا إلى أن تم القضاء عليهم نهائيا سنة 375هـ/985م[1].

4-دولة الأغالبة : (184_296هـ/800_908م)

ثار الأهالي على والي القيروان محمد بن مقاتل العكي لكونه كان حاكما ظلوما وأزرهم في ثورتهم عامله على تونس تمام بن تميم، وعندما لم يقدر ابن مقاتل الصمود أمام هذه الثورة فر إلى طرابلس وبعث إلى إبراهيم بن الأغلب حاكم إقليم الزاب بمدينة طبنة يطلب النجدة منه، قلبي إبراهيم النحدة عام 183هـ/ 799م فأعاد الأمن إلى نصابه، وأعاد ابن مقاتل إلى مركزه كوالي على القيروان، ولكن الأهالي كرهوا حكمه ورفضوا إعلان الولاء والطاعة له وطلبوا من إبراهيم أن يتولى شؤونهم، فكتب بذلك إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي أجاب رغبته ورغبتهم وكافأه على حسن بلائه وعقد له ولأبنائه من بعده بولاية العهد على إفريقية مقابل خراج سنوي تدفعه إمارته إلى الخليفة مقداره أربعون ألف دينار وذلك عام 184هـ / 800م فأنشأ مدينة العباسية على ثلاثة أميال من القيروان واتخذها عاصمة لدولته[2]، وهكذا ظهرت الدولة الأغلبية التي تمتعت بشبه استقلال ذاتي تستظل بالخلافة العباسية، حيث كان الأغالبة يذكرون اسم الخليفة على المنابر ويرسلون له خراجا سنويا،وينقشون اسمه على السكة[3].

امتدت حدود الدولة الأغلبية من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط (الجهة الشرقية منه) وإلى بلاد الزاب في الجنوب، واتبعت الحكم الوراثي حيث اقتصر الحكم على أسرة مؤسس الدولة إبراهيم بن الأغلب وحكم منهم أحد عشر أميرا[4]، واستمرت هذه الدولة قائمة حوالي قرن من الزمن حيث قضى عليها العبيديون (الفاطميون) سنة 296هـ / 909م[5].

واهتم الأغالبة بالجهاد البحري حيث وجهوا حملات عديدة لفتح جزر البحر الأبيض المتوسط، ففتحوا جزيرة صقلية سنة 212هـ / 827م بقيادة أسد بن الفرات في عهد الأمير زيادة الله الأول ونشروا الحضارة الإسلامية

1 محمود إسماعيل : الأدارسة (172_375هـ)حقائق جديدة ،ط 1 ،مكتبة مدبولي،القاهرة ،1991م، ص ص ص ،83_84_85.

2 ابن الأثير : المصدر السابق ،مج 5،ص ،313.

3 ابن وردان :تاريخ مملكة الأغالبة ،تح:محمد زينهم محمد عزب،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1988م.

4 حسين مؤنس :المغرب الإسلامي ،ط2،الشركة الوطنية للمشر والتوزيع،الجزائر،1981م،ص ص ،95_96.

5 ابن وردان : المصدر السابق ، ص ، 34.

فيها، كما فتحوا جزيرة مالطة عام 255هـ / 869م في عهد الأمير محمد الثاني أبي الغرانيق ،كما فتحوا عدة جهات جنوب شرق إيطاليا وأرغموا البابا على دفع غرامة مالية كبيرة لهم سنة 262هـ/876م[1].

1 عبد العزيز الثعالبي :تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية ،تح:أحمد بن ميلاد،أحمد إدريس ،ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1990م،ص ص ،220_221_222.

المبحث الثاني : المهدوية والدعوة الإسماعيلية ببلاد المغرب الإسلامي

يرجع أصل ظهور التشيع في المغرب الإسلامي إلى الأشخاص الذين دخلوا هذه البلاد، من معتنقي المذهب إما مارين بها أو مقيمين فترة من الزمن أو مستقرين بها بصفة نهائية، كما ساهم أهل المغرب بنشر هذه العقيدة وأفكارها، وذلك بواسطة الرحلات العلمية أو رحلات الحج التي أسفرت ربما عن احتكاك هؤلاء بشخصيات شيعية أو نادرا بالتقاء الأئمة من آل البيت[1] .

يعود أول ظهور للشيعة الإسماعلية في بلاد المغرب إلى دخول الداعيين "أبو سفيان والحلواني" الذين أوفدهما جعفر الصادق وقال لهما :المغرب أرض بور فاذهبا وأحرثاها حتى يجيء صاحب البذر،فدخلا المغرب ونزل أحدهمت بمرماجنة[2]، و الآخر بسوجمار[3] وكلاهما أرض كتامة أين فشت الدعوة الشيعية[4] .

أما أبو عبد الله الشيعي[5] الذي سيحل محل الداعيان السابقان فإنه اتصل بالإمام محمد ابن جعفر فتوسم فيه الكفاية و أرسله إلى ابن حوشب القائم على أمر الدعوة باليمن فتلقى دورة تدريبية على يده لهذا فإنه قربه من مجلسه و رفع من قدره وقبل مسيره إلى المغرب و أمده ابن حوشب بالأموال قائلا : "إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني و أبو سفيان و قد ماتا و ليس بها غيرك فبادر فإنها موطأة ممهدة لك"[6].

وحين بعث أبو عبد الله إلى المغرب الإسلامي للقيام بأمور الدعوة، كان مبعوثا من طرف صاحب دعوة اليمن أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب ابن زادان الكوفي وسمي بمنصور اليمن وذلك لما أتيح له من النصر، وكما ذكرنا أن ابن حوشب قرب إليه أبو عبد الله ، ثم أرسله مع أهل اليمن القاصدين مكة للحج [7].

وفي مكة ومنها كانت نقطة بداية الحياة الدعوية لأبي عبد الله الشيعي، إذ سعى منذ ذلك وهو في مكة للوصول إلى وفود المغرب الإسلامي، قاصدا الامتزاج بهم ومخالطتهم، وحصل له ذلك إذ يروي ابن عذارى أنه رأى في الموسم قوما من أهل المغرب[8] ، وهنا يأتي عنصر الصدفة ليضفي على الأحداث مسارا موافقا لرغبة الداعي إذ

---

1 نجيب زبيب : دولة التشيع في بلاد المغرب ،دار الأمير للثقافة والعلوم ،بيروت ، 1993م ، ص ،125.

2 مرجانة: قرية بإفريقية قبيلة هوارة وبين مرماجنة والأريس مرحلة ،ينظر :ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،دار صادر ،بيروت ، 1977م،ج 5،ص 109،.

3 سوجمار:ابن خلدون يذكرها بسوق جمار، وأنها من أرض كتامة ،كتاب "العبر"،ج 2 ،ص ،51.

4 ابن خلدون : تاريخ إبن خلدون ،المصدر السابق ، ج 1 ،ص،41.

5 أبو عبد الله الشيعي ، واسمه الحسين بن أحمد بن زكرياء من أهل صنعاء وقيل من أهل الكوفة.انظر:ابن أبي دينار:المؤنس في أخبار إفريقية،ط 1،مطبعة الدولة التونسية ،ص،51.

6 محمود اسماعيل : الاغالبة (184_296هـ) سياستهم الخارجية ، ط 3، عين الدراسات و البحوث ،القاهرة، 2000م، ص ص ،192_193.

7 القاضي نعمان : انفتاح الدعوة ، تح،فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ،ط 2، 1975م،ص ص ،6_26.

8 ابن عذاري : المصدر السابق ،ج 1 ، ص ،124.

من الصدفة أن يكون ضمن جماعة حجيج المغرب عناصر ممن تشيعوا بسبب الحلواني وأبي سفيان، وهم من أهل كتامة وذكر القاضي النعمان إسمان فيمن كان من الشيعة من هؤلاء الوفد وهم حريث الجميلي وموسى بن مكارمة، وذكر أنهما ممن أخذ المذهب عن الحلواني [1].

لما التقى الداعي أبو عبد الله بوفد المغرب، كان لزاما عليه أن يتقصى ويتحرى أخبارهم بدقة، إذ كان صاحب مشروع يسعى لأن يمكن لمشروعه ويؤسس له، وإذ هو آت من اليمن لا بد أن ما توفر له من أخبار حول المغرب كان في حدود ما تناقله الدعاة الأوائل فيذكر أن الحلواني أرسل عن طبائع السكان ومعالم بلادهم تقارير مفصلة إلى مراكز الدعوة[2]، فكثرت مساءلاته للوفد وتعددت اتجاهات مساءلاته، وكان ذلك لما رأهم يتحدثون عن فضائل أهل البيت، فلذلك " لصق بهم ،وخالطهم"[3] وشاركهم الحديث مستخدما مهاراته في الكلام، مع حجة ساطعة وبيان ساحر[4] ، وقد أحس منهم قابليتهم لتقبل وسماع أفكار جديدة، وهذا مؤشر يبعث بالتفاؤل ويبشر خيرا بمهمة الداعي.

كانت البداية بتخطيطه في كيفية استدراج قبيلة كتامة[5] البربرية، فسافر إلى الحج في الوقت الذي يدرك أنه يستطيع أن يلقى فيه حجاج كتامة[6]، وذلك لربط الصلة بهم[7]. حيث استغل الفرصة المناسبة ليقصد مجلسهم بعدما سمعهم يتحدثون عن فضائل آل البيت بحماس وعاطفة، وكان هذا هو المطلوب فيهم. فكان على نصيب كبير من العبقرية والذكاء والفطنة، فخاطبهم على قدر عقولهم وميولهم، فهو يخاطب الوجدان كما يخاطب العقل. ولا عجب أنه حاز في ساعات قليلة على إعجاب أهل كتامة وتقديرهم[8]، فاستطاع أن يكسب ثقة بعض الأشخاص المهمين دون أن يكشف نفسه، ولا أن يخبرهم بغرضه[9] .

1 القاضي نعمان : المصدر السابق ،ص ، 29.

2 موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري ، الجزائر ،المكتبة الوطنية ،د.ت، ص ، 242.

3 ابن عذاري : المصدر نفسه ،ج 1 ،ص،124.

4 موسى لقبال : المرجع السابق ،ص ،235.

5 كتامة: من قبائل البربر من المغرب وأشدهم بأسا وقوة، وأطولهم باعا في الملك عند نسابة البربر من ولد كتام بن برنس موطنين بأرياف وقسنطينة إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل الأوراس من ناحية القبلة، وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم، وبين ديارهم ومجالات نقلبهم مثل ايكجان وسطيف.... من حدود جبل الأوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة، انظر: موسى لقبال: دور كتامة، ص 92، 93.

6 الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم تر: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، (د، ت،).

7 فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب (365296هـ / 909 (975م) التاريخ السياسي والمؤسسات تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994م، ص 83.

8 علي حسن الخربوطلي: أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية،(د،د،ط)،(د،ط)،(د،م،ن)،1972م،ص،32.

9 الفرد بل : المرجع السابق ، ص ، 160.

اختيار بلاد كتامة مجالا لنشر دعوته واتخاذها قاعدة ارتكاز وانطلاق نحو تكوين الجيش لتحقيق مشروعه السياسي فوقف على أحوالهم العامة[1]، وخصص مرحلة من سفره في التعرف على شؤون بلادهم ونوع حياتهم السياسية والاجتماعية، وطبيعة علاقتهم في المنطقة سواء مع بني الأغلب أو ممثليهم في الحواضر[2]،وإدراكه بتقدير أهل البربر للعلم والعلماء ،"فكان يحرص على أن يسمعوا منه كل يوم أمرا جديدا لم يكونوا قد سمعوا مثله ، ويستفتونه ويفتيهم[3]

حرص على الالتزام والتعقل في غرس المذهب الإسماعيلي[4]، كما قسم دعوته إلى مرحلتين: مرحلة الدعاية السلمية في جذب الأنصار والمريدين للمذهب الأسماعيلي، والمرحلة الثانية تمثلت في الخروج إلى العلن والتصادم المسلح[5].

أحرز أبو عبد الله الشيعي انتصارات عديدة، فكان أكبر انتصاراته، هو إزاحة عقبة الأغالبة عن طريقه، وإخضاع مدنها، واندثار حكمها وسلطانها. وباشر بعدها في التنظيمات العامة، وتوطيد نفوذه في رقادة، والقيروان. فأمر خطباء المساجد بالصلاة على محمد وعلى آله و على أمير المؤمنين إمام علي بن أبي طالب الحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم جميعا، وأن يكون الآذان بحي على خير العمل"[6]، وهو إلى الآن متستر عن أمر المهدي، فلم يذكر اسمه في الخطبة، لأنه لم يحن أوان ذلك بعد.

نجح أبو عبد الله الشيعي في نشر الدعوة الفاطمية الإسماعيلية في إفريقية التي كانت آنذاك تحت حكم دولة الأغالبة (184- 296هـ / 800 - 908م). ولم يكتف الشيعي بهذا النجاح فقط بل عمل على تدشينه بإنشاء دولة بقوة السلاح، فجمع جيوشه من الكتاميين. وبدأ نشاطه الحربي، فوقعت في يده العديد من المدن المغربية منها ميلة وسطيف وغيرهما كثير، وقد حاول أمير الأغالبة زيادة الله الثالث (296 - 290هـ / 902 - 908م) مقاومة هذا الاجتياح فأرسل ثلاثة جيوش متوالية، ولكنها هزمت كلها وانتهى الأمر به بالفرار إلى مصر،

11 بوبة مجاني : دراسات إسماعيلة ،مطبوعات جامعة منتوري ،(د،ط)، قسنطينة، 2002م، ص ، 155.

2 موسى لقبال : المرجع السابق، ص ، 236.

3 القاضي نعمان : المصدر السابق ، ص ، 38.

4 فاطمة بلهواري :الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي،دار المسك للطباعة والنشر،(د،ط) تلمسان ،2011م ، ص ،16.

5 أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ،دار النهضة العربية ،(د،ط)،بيروت،(د،ت،ط)،ص،225.

6 القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ، 250.

ودخول أبي عبد الله الشيعي مدينة رقادة[1] ثم القيروان سنة 296هـ / 908م، وانتهى بذلك حكم الأغالبة بإفريقية وابتدأ حكم الفاطميين.

وكان أبو عبد الله الشيعي خلال انتصاراته الأخيرة. وقبل أن يقضي نهائياً على حكم الأغالبة . قد أرسل وفداً من كتامه إلى الإمام الفاطمي عبيد الله المهدي (297 - 322هـ/ 909 – 939م) يخبره بما أنجزه من انتصارات ويدعوه للقدوم للمغرب "[2] وكان المهدي أنذاك مختفياً في بلدة سلمية[3] خوفاً من العباسيين الذين يترصدون أخباره، ولكن أمره كان قد افتضح فخرج من الشام إلى العراق، ومعه ابنه أبو القاسم وخاصته ومواليه وجد السير إلى أن وصل مصر متنكراً في هيأة التجار. ومن مصر رحل إلى طرابلس الغرب، فوجد أن الأغالبة لازالوا أصحاب البلاد، وأن الداعية الشيعي لايزال في حرب معهم، فاضطر إلى مواصلة السير حتى وصل سجلماسة بالمغرب الأقصى، وكان عليها أنذاك اليسع بن مدار الذي جاءه كتاب من زيادة الله بن الأغلب يعلمه فيه بأن الرجل الذي عنده إنما هو الذي يدعو إليه أبو عبد الله الشيعي عند ذلك قبض اليسع على عبيد الله وسجنه عنده.

ظل المهدي في حبسه بسجلماسة حتى تم للداعية أبو عبد الله النصر على الأغالبة فسار في قوة كبيرة إلى سجلماسة لإنقاذ المهدي مزيلاً من طريقه كل القبائل والدول التي اعترضته منها الدولة الرستمية في المغرب الأوسط (296-144هـ / 908-761م) فأخضعها واستولى على عاصمتها تاهرت سنة 296هـ / 908م، ثم واصل سيره حتى بلغ مدينة سجلماسة، ولما سمع اليسع بن مدرار بوصول أبي عبدالله خرج لمقاتله ولكنه هزم وهرب ليلاً من المدينة حاملاً معه أقاربه وأمتعته في حين دخل أبو عبد الله سجلماسة وأخرج المهدي من سجنه في ذي الحجة سنة 296هـ / 908م فأقام المهدي بسجلماسة أربعين يوماً، ثم رجع إلى أفريقية فوصل رقادة في ربيع سنة 297هـ / 909م، واستولى على ملك بني الأغلب فيها، وجددت له البيعة، وذكر اسمه في الخطبة، وتلقب ب المهدي (أمير المؤمنين). ثم قام بتقسيم أعمال دولته الجديدة على رؤساء كتامه الذين ساعدوا على إقامتها ، ودون الدواوين وجبي الأموال، واستقرت قدمه في البلاد. [4]

1 رقادة بلدة كانت بإفريقية بناها إبراهيم بن أحمد بن الأغلب (901-874/209-261م) سنة 283هـ / 876م، ولما أتمها انتقل إلها من مدينة القصر القديم، وكانت تتميز بالبساتين ، ولم يكن بإفريقية أطيب هواء ولا أعدل نسيماً وأرق تربة منها . ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج3،دار صادر بيروت،1977م، ص ،55.

2 ابن الأثير: المصدر السابق ، ج6، ص،453.

3 سلمية: في بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة، وكانت تعد من أعمال حمص ياقوت الحموي : المصدر السابق،ج3،ص،240.

4 ابن خلدون : المقدمة ،المصدر السابق ، ج4، ص ص 38-40

إن الدولة الفاطمية في ذلك الوقت كانت لا تزال مضطرية ناشئة وفي حاجة ماسة إلى استقرار وتدعيم، وكان على الخليفة المهدي نفسه أن يقوم بهذه الأعمال " فكان أول عمل قام به في سبيل إرساء دعائم دولته الجديدة هو إكمال إخضاع بلادي المغرب الأوسط والأقصى لحكمه لأن أهلهما لم يدينوا له بالطاعة التامة بعد، فعهد بهذه المهمة إلى أبي عبد الله الشيعي الذي خرج سنة (297هـ / 909م) مع بعض قادة كتامة ودعاتهم إلى تلك البلاد فافتتح مدنها، ثم سار على رأس جيش كبير سنة (298هـ / 910م) لإخضاع قبائل زنانه جنوبي بلاد كتامة فدخلو في طاعته وصار يجبي الأموال منهم أما العمل الثاني الذي قام به المهدي لتدعيم أركان دولته هو اغتيال الداعية أبي عبد الله الشيعي في جمادى الآخرة سنة (298هـ / 910م [1]) أي بعد عام واحد من نشأة الدولة الفاطمية والسبب في ذلك أن الخليفة الفاطمي لما استقامت له البلاد أخذ بمباشرة أمور الدولة بنفسه. في حين أن الداعية الشيعي كان لا يزال يحاول الاستمرار في ممارسة سلطانه : حيث ورد عنه قوله للمهدي : " لو كنت تجلس في قصرك وتتركني مع كتامه أمرهم وأنهاهم، لأني عارف بعاداتهم. لكان ذلك أهيب لك في أعين الناس"[2] غير أن المهدي لم يأبه له، واستمر في السياسة التي انتهجها بإدارة الأمور بنفسه، فأثار هذا العمل غضب الداعية وأصحابه فأخذوا يتأمرون على قتل المهدي ويؤلبون الناس ضده، ولكن المهدي علم من جواسيسه أن الداعية وأصحابه يتأمرون على قتله، فعزم على التخلص منهم . وذلك بتوزيع المتأمرين على الولايات المختلفة، وأرسل سرا إلى عمال تلك الولايات بقتلهم بمجرد وصولهم. أما الداعية وأخوه أبو العباس ، فقد وضع لهم المهدي من يقتلهم وهم في طريقهم إلى القصر الخلافي برقادة[3].

كان العمل الثالث الذي قام به المهدي لتوطيد أركان دولته فهو بناء العاصمة الجديدة المهدية حوالي عام (300 هـ / 912م) واتخذها داراً للملك [4]، وبعد تأسيس المهدية قمة التنظيمات التي وضعها المهدي للدولة الفاطمية ببلاد المغرب فقد جاء هذا العمل متفقاً مع السياسة التي جرى عليها مؤسسو الدول الإسلامية في المشرق والمغرب إذ حرص كل منهم على بناء عاصمة جديدة له تكون مقراً لحكمه ودلالة على العصر الذي يحاول فرض معالمه ودعم مؤسساته ورأى عبيد الله المهدي أن قيام الدولة الفاطمية واستقرار أوضاعها يتطلب بناء عاصمة جديدة، لا لتكون مركزاً لحكمه فحسب، بل لتكون حصناً يدافع به عن تلك الدولة، وصد أي هجوم أو فتن قد تتعرض لها.

1 ابن عذاري : المصدر السابق ،ج1، ص ص ص ،160_162_164.
2 المقريزي : المصدر السابق ، ج1 ، ص، 67.
3 ابن الأثير : المصدر السابق ،ج6،ص،462_463.
4 ابن عذاري : المصدر السابق ،ج1، ص ، 169.

وببناء المهدية توطدت أركان الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي. ولكن لم يكن حلم الفاطميين لينتهي بتأسيس دولتهم المغربية هذه، فإنها لم تكن سوى هدف مبدئي وخطوة أولى نحو تحقيق أملهم الواسع، في حكم كل البلاد الإسلامية من أقصى المغرب الإسلامي إلى أقصى المشرق[1] "

1 جمال الدين، عبدالله محمد : الدولة الفاطمية قياميا ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة، القاهرة ، 1991م ، ص،4 .

المبحث الثالث : سلطة الشيعة الإسماعيلية وسياستها المذهبية في بلاد المغرب الإسلامي

إن تلقب عبيد الله المهدي أمير المؤمنين كأول خطوة للدلالة على قيام الخلافة في سنة 297هـ / 910م وأن أمرها أصبح واقعا، إذ أمر هذا الخليفة الخطباء بالدعاء لا علنا في المساجد في كل من القيروان ورقادة والقصر القديم واسقاط الدعاء للخليفة العباسي [1]، ولم يجد علماء السنة غضاضة حين تلقب المهدي بـ "أمير المؤمنين" لكنهم رفضوا نظرية الشيعة في مسألة التفضيل[2] .

وبدت مهمة المهدي شاقة، وليس من السهل أن يخضع أكثرية تتبع عدة مذاهب إسلامية لأقلية إسماعيلية. فحين استقر به قرار الملك أشهر السيف على المخالفين له أكثر من السابق، فأنفذ رسله في كل الأنحاء[3] ، متبعا أسلوب "التهديد والترغيب" في نشر مذهبه. ومما ذكر أن رجلا يدعى الشريف ومعه الدعاة، أحضروا الناس بالعنف والشدة ودعوهم إلى المذهب الإسماعيلي، فمن أجاب أحسن إليه ومن أبى حبس، وكان ذلك يوم دخول المهدي القيروان وإعلان الخلافة الفاطمية، فجاء ت هذه السياسة بنتائج عكسية؛ إذ اندلعت الثورات ضده وهددت دولته وهي في مهدها.

وأدخل المهدي تغييرات في العقيدة وتشدد في تطبيقها حتى امتازت عن تعاليم أهل السنة كإسقاطه الرجم عن المحصنين في الزنا، وإسقاطه المسح على الخفين والصوم بالعلامة والفطر بها لا بالرؤية، وتحليل المطلقة ثلاثا إلى غير ذلك من المستحدثات [4]، بيد أن هذه التعاليم الجديدة لم تكن وليدة سياسة المهدي المذهبية فقد سنها أبو عبد الله الشيعي قبله، وكانت لها نتائج عكسية ، حيث شقت عليه كتامة باب الطاعة.

وما زاد من سخط الأهالي على سياسة المهدي المذهبية هو المبالغة في إظهار الطقوس الدينية المستوحاة من معتقدات الفرقة الإسماعلية، والتي تناقلتها نصوص المصادر السنية [5]، حيث ذكرت أن هؤلاء الأئمة الإسماعلية حين كانوا يتحدثون إلى المغاربة وكأنهم من طينة غير طينة البشر، فعندهم أسرار الغيب وعلم ما سيكون ولديهم كتب يقولون أن فيها كل ما يحدث مسطور برموز لا يفهمها غيرهم والتي نظر إليها فقهاء أهل السنة على أنها كفر وزندقة، وخروج عن ملة الإسلام وهي أمور لم يعهدها أهل المغرب إلى ذلك الحين. وكثيرا ما قتل المهدي

---

1 تقي الدين المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح،جمال الدين شيال، دار الفكر العربي ، القاهرة، 1967م ، ج 1 ، ص،350 .

2 إسماعيل محمود : محنة المالكية في إفريقية المغربية رؤية إجتماعية ، فاس ،(د.ن)، 1977م، ص ، 65.

3 ابن خلدون : المقدمة ، ،المصدر السابق ،ج 3، ص ،365.

4 المقدسي : أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم ،ط 3 ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1991م،ص ص ،237_238.

5 المالكي أبو بكر : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية ، تح ، بشير بكوش ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ج 2 ،1994م، ص ،41.

الناس بالشبهة، وتحدى مشاعر أهل السنة، إذ هو أمر بسب أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) وأزواجه بدعوى أنهم ارتدوا بعده باستثناء بعضهم كعلي ابن أبي طالب والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري رضي الله عنهم أجمعين.

كما ذكر ابن عذارى أن إيمان كتامة كانت " وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدي الذي برقادة "[1]، وحول تفشي هذا الاعتقاد خلص أحد الباحثين أن مذهب الشيعة تأثر بالفلسفة الإغريقية وأخذ بالرجعة والتناسخ والحلول الأمر الذي جعل مذهب الإسماعيلية خليطا من الدين والفلسفة حتى ذهب الدعاة إلى رفع الأئمة وإحاطتهم بصفات التقديس. إذ أن هذه العقيدة تنزه الخالق من الصفات كالعالم والقادر مثلا لهذا لم يلق الفكر الشيعي حقه من الدراسات لأن غالبية السنية الإسلامية نظرت إلى هذه الفرقة كفرقة خارجة عن الإسلام، كما أنه لا يعقل أن نسلم بكل ما رمي بهؤلاء من خروج عن أصول الدين[2]، وما نعتقده أن المصادر الإسماعيلية هي الأخرى تغاضت عن ذكر الكثير من السلبيات التي ترتبت عن هذه السياسة، والتي لم يكن المهدي المسؤول الوحيد فيها، بل للدعاة جزء كبير منها، فقد بالغ الدعاة في تمثيل عقائد المذهب الإسماعيلي إلى حد الضر به وتشويهه من ذلك ظهور ما عرف بالتشريق، والتي اعتمد فيه على بث بعض العادات الغريبة عن الشريعة الإسلامية، وعن أهل المغرب واعتادوا عليه، وفي هذا الشأن قدم المؤرخ ابن عذاري صورا عن سوء سيرة بعض الدعاة واستغلالهم الدعوة لتحقيق منافعهم، فذكر أن أحد هؤلاء الدعاة أظهر تحليل المحرمات فلقيت دعوته رواجا وجاهر معتنقوه بذلك، فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر في رمضان جهارا ، فتضايق المهدي لمثل هذه الأفعال فبادر في معاقبة هؤلاء على التو من سجن وقتل[3].

كما أورد القاضي النعمان في كتابه "المجالس والمسايرات" صورا أخرى تكشف عن فساد بعض الدعاة عند الدعوة كالقول بعبادة رأس ينثر فيه الدنانير[4]، ومما لا شك فيه أن دعاة المهدي كانوا يعملون على أن يحل المهدي من قلوب الرعايا أسمى مكانة، حتى بالغوا وأسرفوا في إيداع صفات التقديس بين الناس عنه حتى يقول بعضهم لبعض هو المهدي ابن الرسول صلى الله عليه وسلم وحجة الله على خلقه[5]، كما أعترف الخليفة الفاطمي المعز لدين الله أن بعض دعاة المهدي كانوا لا يعرفون شيئا من ظاهر دين الله من حلال وحرام، وكانوا يأنفون أن

1 ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص، 159 _ 160 .

2 الشيبي كمال مصطفي : الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1966م ، ص ، 25 .

3 ابن عذاري : المصدر نفسه ، ج 1 ، ص ص ، 185_186.

4 القاضي نعمان : المصدر السابق ، ص ، 375 .

5 الأنصاري عبد الرحمان الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج 1، 2002م ، ص ، 261 .

يعترفوا بالجهل بشيء يسألون عنه فخلطوا العقيدة الإسماعيلية بالخرافات والأساطير[1]، ويحتمل أن خصوم المهدي هم الذين الصقوا به تهمة التشريق باعتبارها دعوة هدامة إلا أن هنالك ما يثبت صحة نسبتها إليه لأن هؤلاء الذين أظهروها بالقيروان هم من معتنقي المذهب الإسماعيلي ويعتقدون في إمامة المهدي، ويرجح أن المهدي جعلها وسيلة لتمكين مذهبه داخل بلاد المغرب، وعندما عادت عليه بنتائج عكسية كف عنها، وبعث بالكتب إلى عماله في الأقاليم طالبا منهم أن يرفعوا إليه مرتكبي تلك الأفعال، فتم حبسهم وكانوا نحو مائتي رجل[2].

وغالى دعاة المهدي في سياسة البطش والإرهاب، فاستغلوا نفوذهم ومناصبهم الإدارية، فتفننوا في خلق أجواء الإرهاب والبطش بكل أنواعه فذكر التمثيل بجثث القتلى والتشهير بها في الأسواق والأماكن العامة ليرتدع أعوانهم وخصومهم؛ إذ عرفت هذه المرحلة من حكم هذا الخليفة كافة فنون التعذيب والتنكيل الشنيع من سمل الأعين وبقر البطون وخلع الأسنان[3] .

وبالمثل، شهد عهد حكم القائم بأمر الله استغلال الدعاة المراكزهم في الاستخفاف بالشريعة، مما زاد من نفور أهل المغرب من حكم هذا الخليفة [4]، وقد سلكت السياسة الفاطمية المذهبية منعطفا جديدا في عهد كل من المنصور بالله والمعز لدين الله حيث طرأ عليها بعض الاعتدال، وبخاصة بعد أن قضي على ثورة أبي زيد مخلد الإباضي، والتي دفعت الخلفاء الفاطميين إلى ضرورة تعديل ،سياستهم في تسيير بلاد المغرب ، فقد توصل هؤلاء الخلفاء إلى عقم سياسة التعصب المذهبي التي انتهجوها هم ودعاتهم، ومن ثم جنحوا إلى أسلوب الملاينة والتودد.

كما كان لبعض القضاة أيضا دور في الغلو بالمذهب الإسماعيلي، حيث استغل المروذي[5] قاضي القيروان منصبه وسلطته، وتطاول وتجبر على العلماء ، إذ كان سفاح – العصر – حيث اشتهر بالإيقاع بعلماء أهل السنة بعامة والمالكية بخاصة، فقد أمعن في التنكيل بهم وتلفيق التهم ضدهم وسلط عليهم صنوف العذاب بمجرد الشبهة .ومن جملة أعماله أنه أصدر أمرا إلى فقهاء القيروان بمنع الفتوى بمذهب مالك وغيره .وكثيرا ما تظلم الناس إلى عبيد الله المهدي من استبداد القاضي المروذي ولكنه لم يول أي اهتمام بل أحيانا كانت الدائرة تدور على الشاكين [6].

1 عبد الرحمان أبو شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، مطبعة واد النيل ، القاهرة ، ج 1 ، 2002م ، ص ، 376.

2 ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ، 186.

3 الدباغ : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ، 196 .

44 البكري : المسالك والممالك ، تح ، جمال طلبة ، دار الغرب العلمية ، بيروت ، 1957م ، ص ، 15 .

5 الماروذي : هو محمد بن عمر المروذي أول قاض للشيعة بإفريقية توفي سنة 303هـ ، انظر : ابن عذاري ، البيان المغرب ج 1 ، ص 151.

6 الخشني : قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، مكتبة المدبولي ، القاهرة ، 1993م ، ص ، 232 .

بيد أن الأمر يختلف حين تمس الشكوى بمصلحة الدولة، فحين حملت جماعة من الناس إلى المهدي أن القاضي المروذي يطعن في الدولة فحبسه على التو وعذبه ثم قتله[1] ، وهذا النص يعترف فيه هذا القاضي بظلمه وتسطله على الناس وما ارتكبه من معصية في حق الله وحق الرعية لأجل مصالح الفاطميين فقال حين سئل عن أموال كان قد اكتنزها "والله لو أن تحت قدمي جبا مملوءا بمال الدنيا كلها ما أخرجت لكم منه درهما، وأني قد عصيت الله تعالى فيكم فسلطكم علي فاضرب ما شئت وعذب كيف شئت"[2] .

وبالرغم من قتل القاضي المروذي الذي طالما دس وحاك المؤامرات ضد العلماء والفقهاء، فإن سياسة التعسف في أوساط هؤلاء العلماء بقيت متواصلة لمن حل مكانه ولم يكن المروذي إلا أنموذجا من جملة قضاة الدولة الفاطمية عامة والعهد الأول خاصة عند التنكيل والتعسف بالرعية[3] ، وأن جميع تلك الوسائل التي استعملها المهدي لغرض مذهبه ، نتج عنها رد فعل عنيف واضطرابات وقلاقل لم يكتب لها النجاح حتى بين الذين تظاهروا له بالطاعة والولاء، اذ كانت سياسته المذهبية العنيفة احدى العوامل التي أذكت نار الثورات ضده فاضطر المهدي أمام هذه النتائج العكسية إلى أمر الدعاة بالكف عن طالب التشيع عن العامة[4].

ولم تكن تلك السياسة وحدها نهجه في نشر دعوته على حساب المذاهب المنتشرة في بلاد المغرب بل ذهب إلى تنظيم دعاية سلمية فأسس ما عرف بـ "مدارس الدعوة" وهذه الخطوة تعتبر نقطة تحول في أسلوب سياسة المهدي المذهبية إلا أن المصادر التاريخية لا تمدنا إلا بالنذر اليسير عن الأهداف الحقيقية لهذه المدارس، والأبعد من هذا فهي لم تحدد تاريخ قيامها، بل اكتفت أنها كانت في عهد المهدي. والراجح أنها أسست عند انتقال المهدي إلى حاضرته المهدية.

كما استخلصت بعض الدراسات الحديثة الغاية التي وضعت من أجلها هذه المدارس نظرا لعجز أهل بلاد المغرب عن استيعاب عقائد المذهب الإسماعيلي بتأويلاته الملغزة ، وهذا ما دفع عبيد الله المهدي إلى خلق هذه الدعوة السلمية لتمكين دعوته الإسماعيلية في بلاد المغرب، قد جنبه هذا الأسلوب بعض المتاعب. وهكذا استعملت هذه المدارس كوسيلة للاتصال بين المهدي وبين أتباعه[5] ، ليؤكد بواسطتها حكمه المطلق، ولإحاطة شخصه بهالة من العظمة والتقديس، إذ صبغت على سياسة المهدي النظرة الاستعلائية[6] .

1 ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ، 169 .
2 الدباغ : المصدر السابق ، ج 3 . 192_193.
3 الخشني : المصدر السابق : ص ص ، 231_232.
4 ابن الأثير : المصدر السابق : ج 8 ، ص ، 19 .
5 حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعز لدين الله الفاطمي ، مكتبة النهضة ،القاهرة ، 1947م . ص ، 331.
6 أبو يعقوب السيجستاني : الينابيع ، تح: مصطفي غالب ، مكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، 1965م ، ص ص ، 11_12.

ونأتي على توضيح تنظيم هذه المدارس، والتي كانت عبارة عن مراكز تعليمية وكانت تلقى فيها مبادئ هذا المذهب في صورة محاضرات أو منشورات توزع في أوقات محددة [1]، وغالبا ما كانت المساجد والدور والقصور هي الأماكن المخصصة لذلك[2] ، وقد كان داعي الدعاة يرأسها فراجت هذه المدارس بخاصة في الحواضر وبالأخص في حاضرة الدولة "المهدية" في عهد عبيد الله المهدي ، إذ اندفعت في تيار السياسة الفكرية لمناصرة خلفاء الفاطميين والدفاع عنهم [3]، كما وصلت إلى وضع نظام ديني على رأسه أهل البيت.

وبهذا قد امتازت فرقة الإسماعيلية عن غيرها من الفرق الإسلامية بنشاطها الفكري، ومرونة نشره على الرغم من الظروف الصعبة التي اجتزتها في بلاد المغرب ، أن هؤلاء الفاطميين لم يغلقوا باب الدعوة إلى مذهبهم وقد نبغت مجموعة من العلماء الإسماعيلية في المرحلة المغربية بفضل بذور هذه المدارس التي وضعها المهدي ومبالغته في العطاء للدعاة[4] , وأثمرت في عهد خلفائه بخاصة، كما أن شخصية القاضي النعمان يعتبر من الفاعلين الذين أفنوا جهدهم في سبيل خدمة المذهب الإسماعيلي نظرا للعناية التي أولاها الخلفاء في هذه المرحلة المغربية [5]؛ إذ خصصت ميزانية لتدعيم نفقات هذا المذهب.

وعملت هذه الفرقة على فرض وجودها المذهبي والسياسي في بلاد المغرب وذلك بالتضييق على أتباع مختلف المذاهب الإسلامية دون تميز وبذلك جاء موقف أتباعها من علماء الخوارج بقسميهما الاباضي[6] , والصفري[7] صورة لما عرفته الفرقة السنية من اضطهاد وتنكيل. وقد كان القصد من هذا الأسلوب التعسفي في المعاملة محاصرة القوى المناوئة لمرجعية نظام حكمهم ومشروعيته، وحتى لا يناؤهم منهم مناوئ، وأن أي وجود سياسي معاصر لهم من الدول الإسلامية، فهو غير شرعي فاتخذوا التجريم السياسي لكل معارضة قامت ضدهم، وتحويل تلك المواقف من بعد مذهبي وعقدي إلى مفهوم سياسي ، وبهذا لم يسلم من القتل والتعذيب إلا من لاذ بالهرب إلى مراكز خارجية أخرى[8] ، مثل واحة وارجلان وصدراته وبلاد الجريد وقسنطينة وضواحي تيهرت وما بين

1 حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المرجع السابق ، ص ، 237_238.

2 صالح مرمول : السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983م ، ص ، 134 .

3 رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته ، البضائر الجديدة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2019م ، ص ، 243.

4 العزيزي علي منصور الجوذري : سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين ، تح : محمد كامل حسن ومحمد عبد الهادي شعيرة ، دار الفكر العربي ، بيروت ،(د_ت) ، ص ، 95 .

5 حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المرجع السابق ، ص ، 233

6 الدرجيني : المصدر السابق ، ص ، 17 .

7 البكري : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ، 334.

8 الباروني : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، دار الحكمة ، لندن ، ج 2، 2005م ، ص ، 180.

جبل نفوسة وأوراس وجزيرتي جربة وصقلية. ويبدو أن ما لحق بعلماء الخوارج من تشريد وتعذيب وقتل كان أقل مما لحق بعلماء أهل السنة بعامة والمالكية منهم بخاصة لأن معظمهم قاطنون في القيروان فنالهم الأذى أكثر من غيرهم.

حين تقلد الخليفة القائم بأمر الله (322_ 334هـ) أمور الدولة الفاطمية لم يتردد من معاقبة مخالفيه في المذهب وقد رأى القضاء عليهم "جهاد" ، والخروج عنه خطيئة "لن تغتفر " [1] فعمل على إرغام الرعية اعتناق مذهبه قسرا، فقد أراد القائم بهذا الأسلوب أن يكتمل سلطانه السياسي مستخدما كل وسائل التعذيب والإغراق، وكانت لهذه السياسة أثارها العكسية، إذ انتشرت حركات المقاومة في بلاد المغرب فأضحى عهده مطاردة للمخالفين فشقت الفرق المخالفة للمذهب الإسماعيلي عصا الطاعة فارين من مراكزهم ومعتصمين بخارجها[2].

كما ظهر موقف أهل السنة واضحا وبخاصة مذهب المالكية من سياسة القائم بأمر الله وذلك عندما ساند، واشترك فعليا في حركة أبي يزيد بن مخلد الزناتي الإباضي (334هـ)، معبرا عن سخطه ونفوره للمد الشيعي الإسماعيلي في بلاد المغرب فليس من المبالغة إذا قيل أن تلك الحركات التي عج بها عهد القائم بأمر الله كان سببها الوحيد تشدده في نشر دعوته بل تداخلت عوامل أخرى لتزيد من حدة الخلاف والهوة بينه وبين رعيته، إذ كان لسياسته المالية جزء كبير في ظهور الشغب ضده[3].

وقد أسهبت المصادر السنية في وصف اضطهاد العلماء على أيام القائم بأمر الله وما يجعل الوثوق فيها، أنها هي نفسها التي وصفت سابقيه عند كل تعديل طرأ على سياستهم المذهبية اتجاه معارضيهم[4] ، في حين أن بعض المصادر التاريخية رأت أنها كانت أكثر شرا منه، وقيل أنه أمر بتكذيب كتاب الله تعالى وحث المسلمين على حرق المصاحف والمساجد[5] مما يدل على أن خصومه لم يذكروا إلا سلبيات ومساوئ سياسته، إلا أن هناك من المؤرخين من ذكر أن القائم بأمر الله اهتم ببناء المساجد مثل مسجد أجدابية في طرابلس وكان آية في الجمال.

كما ننوه بالدور الذي قام به دعاة الخليفة القائم عند استغلال مراكزهم في الاستخفاف بالشريعة، مما زاد من نفور أهل المغرب من حكم هذا الخليفة [6]، وقد سلكت السياسة الفاطمية المذهبية منعطفا جديدا في عهد كل من المنصور بالله والمعز لدين الله حيث طرأ عليها بعض الاعتدال، وبخاصة بعد أن قضي على ثورة أبي زيد مخلد الإباضي، والتي دفعت الخلفاء الفاطميين إلى ، ضرورة تعديل سياستهم في تسيير بلاد المغرب , فقد توصل هؤلاء

1 مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، دار البيضاء ، 1958م ، ص ، 205 .
2 القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ، 331 .
3 إسماعيل محمود : الخوارج ، دار الثقافة ، دار البيضاء ، 1985م ، ص ، 284 .
4 الدباغ : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص ص ، 21_25_26.
5 عبد الرحمان أبو شامة : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ، 513.
6 البكري : المصدر السابق ، ص ، 15 .

الخلفاء إلى عقم سياسة التعصب المذهبي، ومن ثم جنحوا إلى أسلوب الملاينة والتودد ، فقد أظهر كل من المنصور بالله والمعز لدين الله النوايا الحسنة في التعايش سلميا مع المذاهب الأخرى ولم تغفل المصادر السنية[1] مثل هذه الحقيقة في تحول السياسة المذهبية في عهد هذين الخليفتين حتى ذهب المؤرخ والفقيه "الدباغ" وهو سني المذهب وصف وبكل موضوعية سياسة المنصور المذهبية قائلا:" ولم يزل المنصور هذا شأنه في حفظ المسلمين وتولية أهل الورع والدين ومحبة الفقهاء والصالحين"[2].

كما ذهب الخليفة المنصور بالله (341-334هـ) إلى تبيين حسن نواياه نحو الفقهاء والعلماء فضمن لهم تغيير سيرة من سبقه وأقسم أمامهم على ألا يتعرض لمذاهبهم ، وعن ذلك تحدث "القاضي عبد الجبار" أن المنصور أوفى لأهل السنة بما وعد، فعدل فيهم وتركهم على مذهبهم وأخذ غلاة دعاته فحلق لحاهم، ونفاهم وقال لأهل القيروان " من سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاقتلوه فأني معكم ومن ورائكم "[3]، وأطلق المحدثين في الحديث والناس في إقامة التراويح وأظهر تعظيما للشريعة ، وأيضا عفى وصفح عمن أشهر الحرب ضد الحكم الفاطمي [4]، وكل ذلك بتحفظ شديد وقد عين المنصور في القضاء جملة من علماء أهل السنة على الرغم أنهم كانوا يأتون أحيانا خلافا لمذهب الدولة في حل المسائل الفقهية.

في حين نجد أن "ابن عذارى" قد أسرف في المبالغة عن سيرة خلفاء الدولة الفاطمية، فلم ينصف أحدا منهم، وقد بدا تعصبه واضحا حين أورد أخبارا عن المنصور لم يذكرها غيره من المؤرخين، وذلك أن المنصور حين أخمد ثورة أبي يزيد دخل القيروان وذلك في سنة 336هـ / 957م قتل من أهلها خلقا كثيرا وعذب أخرين " ولم يزالوا معه في الامتحان إلى أن هلك" [5]، وإذا صح ما ذهب إليه " ابن عذارى"، فذلك لم يكن إلا من باب الانتقام ظنا منه أنهم على مذهب أبي يزيد وأعوان له في ثورته كما أنه لم يقتصر العقاب على فئة دون أخرى. وقد ظهرت سياسة الاعتدال أكثر وضوحا في عهد الخليفة المعز لدين الله (365-341هـ)؛ إذ أنه تجنب منذ توليته الخلافة أسلوب العنف في نشر دعوته، لأنه لم يجلب سلفه منه سوى المتاعب ونزوع أهل المغرب إلى الثورة في أي فرصة تتاح لهم، مما عمق شقة الخلاف بين السلطان الفاطمي ورعيته.

1 ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 4 ، ص ، 46 .

2 الدباغ : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ، 26.

3 ابن عبد الجبار الهمذاني : تثبيت دلائل النبوة ، تح، عبد الكريم عثمان ،دار العربية للطباعة والنشر،ج 2،(د_ت)، ص ، 602.

4 الدباغ : المصدر السابق ، ج 3 ، ص ، 61 .

5 ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ، 220 .

وسار المعز لدين الله سيرة أبيه المنصور بالعفو عن مخالفيه محاولا استمالة زعماء القبائل البربرية، وكانت قبيلة زناتة من السابقين في محاربتها للوجود الفاطمي وذلك منذ أن وطئت أقدامهم أرض بلاد المغرب وقد دلت تلك الأحداث التي جمعت القوتين في سلسلة من المعارك عن الموقف الصريح إزاء الفاطميين[1] ، كما كانت قبائل جبل أوراس، ومن بينها بني كملان، وميلة وبعض بطون هوارة موالية ظهرها ورافضة الاذعان للفاطميين إلا أن المعز استطاع أن يكسب ودها وطاعتها[2].

ولعل فهم المعز للأوضاع الداخلية لبلاد المغرب وتخوفه من أهلها جعله يسلك اللين في بعض الأحيان ويبدى ضجره أكثر من مناسبة حتى أنه كتب مرة إلى مولاه جوذر يخبره بوفاة والده المنصور وفي نفس الوقت يبدي قلقه من مستقبل حكمه قائلا: فامتحنني الله بفقده، والانفراد بعده في الديار الموحشة.. والبلد المشاق بين كل عدو وفاسق "[3] ، والملاحظ أن المعز لم يقتصر في معالجته للثورات الداخلية على العمل العسكري، ولكنه استعمل مختلف الوسائل، إذ استفاد من خبرات أسلافه، هذا إلى جانب التأليف بين القلوب إذ ما توسم النجاح في الإحسان إلى الخصم وأمر ولاته في الأقاليم البعيدة عن حاضرة الخلافة بالإحسان إليهم. وفي هذا الصدد قال ابن أبي دنيار: "كان عالما فاضلا جوادا. سمحاء شجاعا حسن السيرة ومنصفا للرعية"[4].

غالت بعض المصادر السنية في الهجوم على سياسة المعز المذهبية حتى ذهبت إلى أنه أمر المؤذن أن يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن معدا رسول الله" [5]لما كان الفاطميون قد برعوا في تنظيم أجهزة الدعاية حيث كانت دوما في تطور مستمر وذلك تبعا لتطور مختلف أمور الدولة الأخرى ، فأصبح نشر الدعوة في عهد المعز جزءا من سياسته [6]، فسن تنظيما صارما لتحقيق غايته فقد اعتمد في بث دعوته على دعاة امتازوا بحنكة دقيقة ومواهب خارقة [7]، فكثيرا ما كان المعز يزود دعاته بالنصائح حتى يسيروا على هديها في تبليغ رسالتهم [8]، وكانت شخصية القاضي النعمان خير مثال لهؤلاء الدعاة المخلصين للمذهب الإسماعيلي والدولة الفاطمية، حتى عرف بـ " المشرع الإسماعيلي "[9].

---

1 ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص ص ص ،160_162_198.

2 القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، تح، فرحات الدشراوي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 ، 1986م ، 335 .

3 الجوذري : المصدر السابق ، ص ، 79.

4 ابن أبي دينار : المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس ، تح، محمد شمام ، المطبعة الدولية التونسية ، تونس ، 1967م ، ص ، 63 .

5 ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ، 55 .

6 ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ، 223.

7 غالب مصطي: تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2 ، (د_ت) ، ص ص ، 26_27 .

8 حسن إبراهيم حسن وشرف محمد طه ، المرجع السابق ، ص ، 236 .

99 غالب مصطفى : المرجع السابق ، ص ، 26 .

وقد أصبحت الدعوة الإسماعيلية في عهد المعز تنشر بعدة لغات نظرا لانتشار دعاته في مختلف الأقاليم يدعون لدولته ويبثون دعوته. وقد دلت رسالة كان قد بعثها المعز إلى الحسن القرمطي يحذره مغبة التمرد عن مدى دقة الدعاية الإسماعيلية في عهده. ونص الرسالة جاء فيها: فما من جزيرة في الأرض ولا إقليم إلا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون إلينا، ويدلون علينا ويأخذون بيعتنا ويذكرون رجعتنا، وينشرون علمنا وينذرون بأسنا، ويبشرون بأيامنا بتصاريف اللغات، واختلاف الألسن، وفي كل جزيرة وإقليم رجال منهم يفقهون وعنهم يأخذون "[1] .

1 عبد الله عنان: الحاكم بأمر الله و أسرار الدعوة الفاطمية ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1983م ، ص ، 215 .

الفصل الثالث: المهدوية عند الموحدين (الأسس الفكرية والأبعاد السياسية) (360هـ-524هـ)

المبحث الأول: بلاد المغرب قبل قيام الدولة الموحدية

المبحث الثاني :المهدوية التومرتية فكرا وممارسة

المبحث الأول: بلاد المغرب قبل قيام الدولة الموحدية:

قبل قيام الدولة الموحدية ببلاد المغرب ظهرت عدة كيانات سياسية وهي:

1-الدولة الزيرية (362هـ -373 هـ):

في مطلع القرن 4 هـ / 10 م عندما انتزع الفاطميون إفريقية من أيدي الأغالبة بدأ ظهور الصنهاجيين التابعين لقبيلة بربرية حضرية مستقرة غربي المغرب الأوسط [1]، حيث يرجع نسب بني زيري إلى قبيلة صنهاجية ،وقد أشار بن خلدون أن الصنهاجيين كانوا يعرفون بموالي الخليفة علي بن أبي طالب وهذا الولاء راجع لإخلاصهم للفاطميين.

يعتبر بلكين بن حماد الصنهاجي الذي تولى شؤون إفريقية والمغرب بعد انتقال المعز الفاطمي بالخلافة لمصر سنة (362 هـ) فعهد له بالإمارة ولقبه بسيف الدولة وكناه بأبي الفتوح وبقي في خدمة الفاطميين إلى وفاته سنة (372 هـ)[2]

وفي عهد المعز بن باديس بلغت الدولة أوج قوتها (407-453 هـ) أشار بن خلدون قائلا " أنه كان منحرفا عن مذهب الرافضة ومنتحلا للسنة فأعلى بمذهبه ...ولعن الرافضة" فما كان من المنتصر إلا التهديد والوعيد فأرسل قبائل بني هلال إلى إفريقية سنة (442هـ) و وعدهم بأن يملكهم المنطقة فبعث وزير الفاطميين رسالة للمعز قائلا: (أما بعد فقد أرسلنا إليك خيولا وحملنا عليها رجالا وفحولا ليقضي الله أمرا كان مفعولا). فعاثت بني هلال فسادا من برقة إلى بجاية أدى إلى خروج الزيرين إلى المهدية فأصيبت الدولة بالضعف وزحمها الأعراب واتخذت كل قبيلة إمارة لها في إفريقية[3]

2-الدولة الحمادية (404هـ -547هـ):

سميت دولة بني حماد نسبة إلى مؤسسها حماد بن بلكين بن زيري بن مناد بن منقوش بن صنهاج الذي توفي سنة 419هـ

---

1 الهادي روجي إدريسي :الدولة الصنهاجية- تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 – ترجمة حمادي ساحلي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1992 م،ج1 ،ص 163.

2-ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2001م ، المصدر السابق ،ج1،ص286-287.

3- ابن عذارى المصدر السابق، ج5، ص294.

كان ظهور حماد بن بلكين في الأحداث السياسية على عهد المنصور الصنهاجي (ت386هـ) وفي عهد الأمير باديس أصاب النظام الصنهاجي التابع للدولة الفاطمية باليأس من حكم البلاد حكما مباشرا فما كان منه إلا التنازل الجزئي إلى عمه حماد بن بلكين هذا الأخير الذي استغل الفرصة واشترط على ابن أخيه شروط أهمها:

-يمتلك حماد ولاية آشيروالمغرب الأوسط.[1]

- يمتلك حماد كل ما يفتحه من بلاد زناته.

فقد أمضى حماد عشر سنوات كاملة (395هـ-405هـ) وهو يعمل على بناء شخصية دولته ، فقد نجح في زعزعته زناته وبعد بناء القلعة أخذ يتردد بين آشير والقلعة هذا الأمر أخاف باديس فعندما بعث الخليفة الفاطمي من مصر إلى باديس بتقليد ابنه المعز ولاية عهده طلب باديس من حماد أن يسلم إقليم قسنطينة إلى ولده المعز الذي كان صبيا فرفض حماد هذا الطلب مؤكدا روح الانفصال ولم يكتفي بذلك بل جهز جيشا للمقاتلة ابن أخيه وخلع ونبذ طاعة الفاطميين وأرجع الدعوة للعباسين[2].

شهدت الدولة أوج قوتها في عهد الأمير الناصر بن الناصر بن علناس (451هـ - 481 هـ) الذي حول العاصمة من القلعة إلى بجاية سنة 547 هـ هربا من الهلاليين وبقيت الدولة تصارع البقاء حق قدوم الموحدين سنة 547 هـ [3]

3-الدولة المرابطية (430 هـ - 541 هـ):

يرجع أصل المرابطين إلى قبيلة لمتونة وهي قبيلة بربرية تعد فخذا من صنهاجة وهي أقوى قبائل البربر وأمنعها ورجالها يملئون بطاح المغرب وسهولة وجباله[4]، واعتبر الطبري أن صنهاجة وكتامة وحمير اليمانية ،هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون المواطنون بالفقر وراء الحرمان الصحراوية بالجنوب أبعدوا هناك قبل الفتح فأصحروا في الأرياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول اغتاظوا من ألبان الأنعام ولحومها اتخذوا من اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم وتعددت قبائلهم[5].

ويذكر البكري أن أهم ما تميز به رجال هذه القبائل هو ارتداء اللثام يستر الوجه كله فلا تبدوا إلا من حجر العين فسميت قبائل الملثمين وانفدوا دون سائر قبائل البربر حتى غدا ذلك الاسم علما عليهم ،وتمتاز قبائل

1-آشير : مدينة بجبال البربر في طرف إفريقية الغربي مقابل بجاية في البر بناها زيري بن مناد الصنهاجي .
أنظر: ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، ط1995،2، ج1، ص202.

2- رابح نونار: المرجع السابق ،ص ص142-144.

3- محمد الطمار:المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2010 ،صص 6-7.

4- سعدون عباس نصر الله :دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين،دار النهضة العربية،ص12.

5- ابن خلدون:كتاب العبر،المصدر السابق،ص181.

البدو بالشجاعة الفائقة والقدرة على تحمل المشاق[1] كان الملثمون على دين المجوسية إلى أن أظهر فيهم الإسلام بعد فتح الأندلس وقد استوطنت قبائل الملثمين جناح المغرب الأيمن في الصحراء الغربية صحراء شنقيط أو ما يسمى اليوم بموريطانيا والتي تحدها من الجنوب بلاد السودان حيث مملكة غانة الكبيرة ومن الغرب المحيط الأطلسي وشرقا نهر النيجر عندما يلتوي شمالا إلى جهة تمبكتو وشمالا منطقة سلجماسة التي يقال لها اليوم تافيلات وفي هذه الصحراء كانت تعيش صنهاجة اللثام البربرية[2].

3-1-تأسيس الدولة:

كانت دولة المرابطين مشروع الفقيه المغربي عبد الله بن ياسين (ت451هـ) الذي انتدبه شيخه ليرافق يحي بن إبراهيم الجدالي(427هـ -430 هـ) زعيم قبيلة صنهاجة البرنسية التي كانت تقطن جنوب المغرب الإسلامي ويحي بن عمر للمتوني (430هـ - 447هـ) إلى قبائل صنهاجة ولمتونة ليعلمهم الدين ويحارب المنحرفين من برغواطة[3] والظالمين من زناتة [4].

عرفت حركتهم بداية صعبة ثم تمكنوا بقيادة أبي بكر عمر اللمتوني (447هـ - 468هـ) من الاستلاء على جنوب المغرب الأقصى واختطفوا مدينة مراكش [5] غير أن الأمير أبو بكر تنازل عن الحكم لابن عمه يوسف بن تاشفين سنة 468 هـ واتجه جنوبا ليجاهد في سبيل الله ونشر الإسلام في بلاد الأفارقة حتى استشهاده سنة 480هـ .

وقد بلغت دولة المرابطين أوجه قوتها في عهد يوسف بن تاشفين (468هـ -500 هـ) فامتد نفوذها إلى كل مناطق المغرب الأقصى وقسم من المغرب والأندلس الذين استنجدوا بيوسف بن تاشفين بعد استلاء القشتالين

1- البكري:المصدر السابق ص 147.

2- أحمد بدر:تاريخ المغرب والأندلس ،المطبعة الجديدة،دمشق،(1980)،ص ص71-182.

3-برغواطة: قبائل بربرية من مصمودة كانت تقيم في إقليم تامسنا في المغرب الأقصى ،أسست دولة تجمع بين أفكار وأديان ومذاهب متعددة كاليهودية والخارجية والشيعة .

أنظر سحر عبد العزيز سالم : المغرب الاسلامي في العصر الوسيط- حول برغواطة ، مؤسسة شباب الاسكندرية،1993،ص5.

4 عبد المجيد النجار : تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت ،فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الاسلامي (د.ط) ،1995م،ص46.

5 مراكش: من أهم المدن بالمغرب تقع وسط البلاد البربر بينها والبحر مسيرة عشرة أيام. أسسها يوسف بن تاشفين سنة 459هـ- وهي مدينة كثيرة الزرع والزروع والثمار .ينظر : مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ،نشر وتع، سعد زغلول عبد الحميد ،بغداد ،دار الشؤون الثقافية العامة،(د.ط) ،1986 م ،ص208.

على طليطلة[1] ومحاصرتهم لسرقسطة [2]فلب النداء هذا الأخير ،حيث أحرز نصرا كبيرا في معركة الزلاقة سنة 479هـ[3].

3-2-الحياة الفكرية والعلمية في دولة المرابطين:

عندما سيطر المرابطون على المغرب وكان المؤسس الروحي لدولتهم عبد الله بن ياسين[4]، الذي كان فقيها مالكيا، زادت تلك العقيدة توطيدا حتى أصبح لها نفوذ سياسي وتحول أغلب الناس على منهج أهل السلف في العقيدة والمالكية في الفقه بتوجيه من الفقهاء.[5]

كما أن يوسف بن تاشفين[6]في عهده كان يفضل الفقهاء ويعظمهم ويصرف الأمور لهم ويأخذ فيها برأيهم ، ولما خلفهابنه علي بن يوسف بن تاشفين(اشتد إيثاره للأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء ، فكان إذا ولى أحدا من قضاته كان فيما بعهد إليه : ألا يقع أمرا ولا يبت حكمه في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمخطر أربعة من الفقهاء فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله، ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدته، فعظم أمر الفقهاء وانصرفت وجوه الناس فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم...)[7].

ولم يكن يقرب من أمير ويحضى بمكانه عنده الا من علم الفروع أي فروع مذهب مالك حيث هجر الفقهاء المرابطين دراسة الأصول في الدين والشريعة وخصوصا دراسة الحديث بل كانت مذمومة فلم يروا فيها

1طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمود بالاندلس ، وهي غربي بلاد الروم وكانت قاعدة الملوك القرطبيين وموضع قرارهم وهي على شاطء نهر تاجة. ينظر: اليعقوبي: المصدر السابق، ص 194 .

2 سرقسطة: بفتح السين والراء , وهي بلدة مشهورة بالأندلس , تتصل أعمالها بأعمال تطيلة ، ذات فواكه كثيرة , وتحاذي النهر الكبير.ينظر : ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص : 212.

3 عز الين موسى: الموحدون في الغرب الاسلامي –تنظيماتهم ونظمهم،دار الغرب الاسلامي ، بيروت(د.ط)،ص ص 35-36.

4عبد الله بن ياسين: هو بن مكو الجزولي المصمودي، حيث نشأ بدار سماها بدار المرابطين، وبعدها عمل على تجنيد طلبته، وأخضع العديد من قبائل صنهاجة ومصمودة، فأصبحت كلها تابعة لسلطته، توفي عام 451هـ/1059م. ينظر: خير الدين الزركلي : المرجع السابق، ج4، ص: 144.

5عبد المجيد النجار: المرجع نفسه، ص: 51.

6يوسف بن تاشفين: هو ابو يعقوب بن تاشفين ابراهيم اللمتوني، ولد عام 410هـ 1019م، ويعتبر الامير يوسف هو المؤسس الفعلي للدولة الملثمين، وقد وصل ملكة من بلاد السودان جنوبا الى الاندلس شمالا ، توفي عام 500 هـ /1107م. ينظر: خير الدين الزركلي : المرجع السابق، ج8، ص: 222.

7عبد الواحد المركشي : المصدر السابق، ص: 121.

فائدة، حيث اهتموا في المقابل بدراسة الفروع (الفقه العملي) تمثل ذلك في العبادات بحسب مذهب مالك[1]وعدوا دراسة الفروع اقصى غايات علم الدين بدلا من أن تكون مجرد فرع ثانوي[2].

كما أن الفقهاء المرابطين لم يهتموا بدراسة الحديث ولم يهتموا بما يستحقه من فهم، ولا يرجعون إلى الأصول للاستنباط الأحكام، وإنما للاحاديث المجموعة في كتب الفروع، هذا الأمر جعلهم يبتعدون عن علم أصول الفقه الذي تستنبط بمقتضاه الاحكام الشرعية.[3]

أما عن الفقهاء المالكية الذين يمثلون اتجاهالفقهي لدولة المرابطين فقد كانوا بعقائد الاشعرية مع حرصهم على عدم تسرب شيء منها العامة يتجاوب وموقف أهل السنة القاضي بتفادي طرح مثل هذه المسائل الكلامية على العوام[4]، وهذا الموقف ما يثبته الإمام مالك الذي تظهر لنا رواية المالكية أنه أعلم الناس بالرد على أهل الأهواء إلا أنه يتحرز من الخوض في المسائل إلا إذا خلا المجلس ويكره أن يتطرق إليها بحضرة العامة[5].

1الامام مالك: هو ابو عبد الله بن انس بن ابي عامر ، ولد سنة 93 هـ /712م، بالمدينة المنورة، كان فقيها ومحدثا، واسس مذهبا شاع اعتناقه في العديد من الأمصار ، توفي في عام 179هـ 795م، ينظر: ابو فرج عبد الرحمان الجوزي: صفة الصفوة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص: 120.

2الفريدبل: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، تر: عبد الرحمان بدوي ، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1981، ص-ص: 240-241.

3سوادى عبد محمد وصالح عمار الحاج: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، القاهرة، المكتب المصري، ط1، 2004، ص: 158.

4ابو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي: إلجام العوام عن علم الكلام ضمن مجموعة من الرسائل، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، 1986.

5القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تح: أحمد بكير محمود، بيروت، دار مكتبة الحياة ،(د.ط)، 1968، ج1، ص: 9.

المبحث الثاني :المهدوية التومرتية فكرا وممارسة

1- محمد بن تومرت وتأثير البيئة العلمية في فكره:

1-1-المولد والنسب:

اختلف الباحثون و المؤرخون في تحديد ميلاد ونسب بن تومرت . ويذكر أبي دينار أنه محمد عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن شعبان بن صفوان بن جابر بن يحي بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[1].

و يذكر بن القطان أنه محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصل بن حمزه بن عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2].

و حسب ما يذكر البيدق فهو محمد عبد الله بن و كيلد بن يا مصل بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن أدريس بن عبد الله بن الحسن بن فاطمة[3].

في المقابل ذهب بعض المؤرخين من بنفي هذا النسب الشريف بتاتا مثل الذهبي قال :(كان يدعي أنه حسن علوي[4] كما وافقه بن أبي زرع الذي قال (هو يدعي في ذلك النسب الشريف)[5].

و يرى البعض أن أصله بربري مثل بن خلدون حيث يقول محمد بن تومرت بن تطاوين بن سافلا بن مسيغون بن أيكليدس بن خالد[6].

والملاحظ أن النسب الشريف سيكون له على ما يبدو أثره السياسي فيما بعد:

1- إبن ابي دينار: المصدر السايق ، ص 107

2أبو محمد حسن بن علي الكتامي بن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان ، تح: محمود علي مكي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990م ، ص: 34.

3ابو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تح عبد الحميد حاجيات ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، 1986، ص: 21.

4شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، ج36، 1994، ص: 106.

5ابو الحسين علي بن عبد الله الفاسي بن أبي زرع: الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس, تح: عبد الوهاب بن منصور ، الرباط، دار المنصور، 1973، ص: 119.

6ابن خلدون: كتاب العبر ،المصدر السابق ،ج6، ص: 266. ينظر: ابو عبد الله محمد بن احمد التركماني الدمشقي الذهبي: تذكرة الحفاظ ,نشر بعناية: عبد الرحمان بن يحلي المعلمي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، ج4، (د.ت)، ص 1274هـ, و: ابو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ط2، ج3، 1993، ص 432. و: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتاكي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة تق وتع: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، ج5، 1992، ص :254. و: أ بو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ، نشر بعناية : أحمد بن عبد الكريم القادري الحسني، القاهرة، المطبعة الحسينية، (د.ط)، ج6، 1906، ص :109.

كما وجد الاختلاف في نسبه وقد كان أيضا في تاريخ ميلاده فقيل سنة 491هـ وقيل سنة 484هـ وحتى سنة 486هـ[1]و يمكن حسم تاريخ مولده بين (470هـ/1077م-1078م) و (480هـ - 1087م – 1088م)[2] والمرجح أنه ولد سنة 480هـ على أساس أن تاريخ إنطلاق الرحلة اعلمية سنة 500هـ وقد إتفقت أغلب المصادر على أن عمره في ذلك الوقت كان 20 سنه[3].

وهو من منطقة السوس[4]ولد بمكان يدعى أيجلي أو وارغن من قبيلة هرغة[5]وهي أحدى بطون المصامده بجبال الدرن في منطقة السوس بجنوب المغرب الاقصى[6].

و يعرف قومه فيها بإسراعين ومعناها الشرفاء بلسان البربر[7]، أما عن تلقيبه بتومرت فقد لقبته أمه عند ولادته حيث أنها فرحت به فقالت باللسان البربري (أتومرت إينويسكأييوي) و معناها (يا فرحتي بك يا بني) و إذا سئلت على أبنها تقول يك تومرت أي صار فرحا ومسرورا ولذلك غلب عليه اسم تومرت[8]،وقد عرف كذلك عندما أصبح شابا باسم أسفو أي الضياء باللغة البربرية لأنه كان يسرج القناديل في المساجد وهذا دليل على ملازمته للمساجد وذلك للقراءة أو الصلاة[9].

ولقد نشأ بن تومرت في أسره كانت من أواسط القوم أي متوسطة الحاله الاجتماعية لكن كانت لديها شيء من المكانه الدينية و يقول ابن خلدون في هذا الصدد (وكان أهل بيته أهل نسك ورباط)[10].

2-تأثير البيئة العلمية بلورة فكر بن تومرت :

لقد بدأ بن تومرت حياته العلمية بالتردد على الكتاتيب فحفظ القرآن الكريم منذ صباه وأخذ بعض مبادئ النحو والصرف في اللغة ، ولم يتلقى علوما أخرى خارج هذا المجال حيث كانت هذه عادة أهل المغربفي

1أبي عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدين والحفصية ، تح: محمد ماضون، تونس ، المكتبة العتيقية، ط2، 1966، ص:4.

2ابراهيم زكي خور شيد وآخرون: دائرة المعارف الاسلامية، القاهرة، الشعب، ط2، ج1، 1969م، ص: 230.

3ابو القاسم عبد الله بن عبد الله بن خرد ذابة: المسالك والممالك، ن: دي غوية، ليدن, مطبعة بريل,(د.ط)، 1889، ص:98.

4السوس الاقصى: اسم مدينة في غرب المغرب الأقصى، وهي ذات قرى واسعة واراضي خصبة، ويسكنها طوائف عديدة من البربر. ينظر: ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري : المسالك والممالك ،تح, محمد جابر عبد العالي,مر,شفيق غربال, مصر,دار القلم, 1961,ص :20.

5عبد الواحد مراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تق وتح وتع: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، (د.ط)، 1994، ص: 136.

6هرغة: وهي قبيلة بن تومرت وتعتبر قليلة العدد بالنسبة لقبائل المصامدة الأخرى، وموقعها بالجنوب الغربي للمغرب الأقصى. ينظر: عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص :267.

7جبال درن: وهي مواقع استقرار المصامدة، وتتميز هذه المنطقة بخصوبة ارضها ورطوبة مناخها، ينظر : أبي عبد الله الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تح: اسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (د.ط)، 1983، ص :227.

8 عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص35.

9 إبن القطان: المصدر السابق، ص: 37.

10 ابن خلدون: كتاب العبر ، المصدر السابق ،ج6، ص266.

تعليم صغارهم وهو ما يؤكده لنا إبن خلدون بقوله: (فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط)[1] ،وبعد بلوغه لسن الرشد أصبح يختلف إلى مجالس الذكر والعلم الشرعي في البداية رفقة والده ثم أخذه الفضول بعد ذلك للاستزادة أكثر من العلوم الإسلامية والتعرف على فقهاء المنطقة وأعلامها فسافر إلى مراكش، ومنها إلى فاس[2]، وحينما أصبح عمره 20 سنه أي في عام (500هـ- 1107م) تاقت نفسه للنهل من علوم الشريعة خارج منطقة المغرب الأقصى,هم بالسفر إلى الأندلس فنزل بقرطبة[3]،وتتلمذه على يد الكثير من علمائها أمثال القاضي أبو جعفر[4] حمد بن محمد حمدين[5]، وكذا أبو عبد الله محمد بن فرج[6]، وقد تأثر به بن تومرت

خصوصا في مجال فقه الحديث[7]،وبعدها توجه نحوا ألمرية [8].

وأقام بها أيام ثم ركب من مينائها نحو تونس ، حيث نزل بمهدية وأقام بها مده يتتلمذ فيها على يد أبي عبد الله المازري (توفي536هـ - 1141م)[9].

وقد أشار التجاني في رحلته إلى أن بن تومرت مر بجزيرة جربه وبقي بها بعض الوقت[10].

1 بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص: 506.

2 فاس هي مدينة تقع في شمال المغرب الاقصى ويشقها نهر كبير ، وتتميز تربتها بالخصوبة ، وبها العديد من المرافق العامة، ينظر: ابي القاسم بن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض ، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ط)، 1992، ص: 98.

3 قرطبة: كلمة أعجمية رومية، ولها اصل في العربية وهي من ا لقرطبة، وتعني العدو الشديد ، وهي مدينة وسط بلاد الأندلس، كانت مقرا لبني أمية. ينظر: أحمد بن ابي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب اليعقوبي: البلدان ، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوي، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط1، 2002، ص :193.1

4 القاضي أبو جعفر حمدين بن محمد بن حمدين التغلبيالذي تولى قضاة قرطبة في عام 529هـ وبعد أختلال أمر المرابطين تقلى أمارة قرطبة لمدة 14 شهرا وقد توفيه بمالقة عام 547هـ . ينظر : جلال الدين عبد الرحمان السيوطي الشافعي : طبقات المفسرين ، طهران كتاب فروشي أسدي ، (د،ط) 1960 ، ص: 118

5محمود السيد : تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، الإسكندرية ، مؤسسسة شباب الجامعة (د،ط) 2004م ،ص:46.

6أبو عبد الله محمد بن فرج : هو القاسم بن الجد الفهري ، أصله من لبلبة ، وفد تولى الوزارة بإشبيلية على عهد يزيد ، ثم تولى الكتابة في قصر يوسف بن تاشفين ، وكان فقيها ومحدثا وأديبا ، توفي عام 515هـ 1121م . ينظر : أبن أبي زرع : المصدر السابق ، 109 .

7سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، منشأة المعارف، (د.ط)، ج5، 2000، ص: 126.

8ألمرية: هي مدينة تقع على الساحل الجنوبي للاند لس ، وقد قام عبد الرحمان الناصر بتحصينها عام 343 هـ، وكان بها دار للصناعة المراكب البحرية. ينظر: مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس ، تح وتر: لويس مولينا، مدريد، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية، (د.ط)، ج1، 1983، ص :79.

9علي محمد الصلابي: صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، عمان،دار البيارق، د.ط، 1998، ج5، ص:11.

10ابو محمد عبد الله بن محمد بن احمد التجاني: رحلة التجاني، تق، حسين حسني عبد الوهاب، ليبيا ، تونس، الدار العربية للكتاب(د.ط)، 1980، ص: 502.

ومنها توجه نحو الديار المصرية فحل بالإسكندرية وتلقى دروسا على يد أبوبكر الطرطوشي (521هـ - 1127م)[1] ،هذا الاخير الذي اتسم بالورع والتقوى وكان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر في عنف وصرامة[2]، وهو ما جعل بن تومرت يتأثر بشخصيته وبنهجه في الدعوة إلى دروب الحق والخير[3]، ومنها اتجه نحو مكة لأداء مناسك الحج والعمرة وبعدها عرج على بلاد الشام وتتلمذ هناك على يد علمائها وأخرج منها قاصدا بغداد حيث التقى هناك بفجر الاسلام أبوبكر الشاشي (507-1113م)[4] ، فأخذ عليه بعض أحكام الفقه وأصول وأخذ الحديث عن بعض شيوخها وخصوصا من أعلام الحديث[5]، وأما مسألة التقاء بن تومرت بحجة الإسلام أبا حامد الغزالي[6]، فإنها رواية غير متماسكة تخضع للأخذ والرد بعد المقارنة التي قمنا بها بين مصنفات المؤرخين حيث انقسمت مواقفهم إلى ثلاثة أقوال فهناك من أكد هذا الالتقاء مثل بن صاحب الصلاة حيث روى عن عبد الله بن عبد الرحمان العراقي فيقول هذا الاخير (كنت ببغداد بمدرسة الشيخ الامام ابي حامد الغزالي فجاءه رجل كث اللحية على رأسه عمامة صوف فدخل المدرسة و أقبل على الشيخ أبي حامد ، فسلم عليه فقال ممن الرجل ؟ فقال من أهل المغرب الاقصى قال : دخلت قرطبة ؟ قال: نعم قال كيف فقهاؤها ؟ قال بخير قال هل بلغهم كتاب الاحياء ؟ قال : نعم قال : فماذا قالوا فيه؟ فصمت الرجل حياءً فعزم عليه ليقولن ماطرأ ، فأخبره بإحراقه وبالقصة كما جرت قال : فتغير وجهه ومديده للدعاء والطلبة يؤمنون فقال:اللهم مزق ملكهم كما مزقوه وأذهب دولتهم كما أحرقوه فقال أبو عبد الله بن تومرت السوسي : أيها الامام أدع الله أن يجعل ذلك على يدي فتغافل عنه الامام ، وبعد أيام قدم شخص أخر إلى حلقة الامام فسأله هذا الاخير عن حقيقة الامر ، فأخبره بصحة الخبر المتقدم فدعا بمثل دعاءه الأول وكان المهدي حاضرا فقال هذا الأخير على يدي إنشاء الله فقال : (اللهم

1ابو بكر الطرطوشي: هو محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الأندلسي الطرطوشي ، من فقهاء المالكية الحفاظ من أهل طرطوشة بشر قي الاندلس، توفي عام 520 هـ/1126م. ينظر: ابو جعفر أحمد بن يحي اللورقيالضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: روحية عبد الرحمان السويفي، بيروت، دار الكتاب العلمية، (د.ك)، 1997، ص: 135.

2محمود السيد : المرجع السابق، ص: 46.

3داود عمر سلامة عبيدات: الموحدون في الاندلس، الاردن، دار الكتاب الثقافي، (د.ط)، 2005، ص :15.

4ابو بكر الشاشي: هو محمد بن احمد بن الحسين الشاشي، كان فقيه الشافعية بالعراق، وتوفي في بغداد عام 507 هـ /1114م. ينظر : خير الدين الزركلي: الأعلام ، قاموس الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، (د.ط)، ج5، 1995، ص :316.

5سعد زغلول : نفس المرجع ،ج5 ، ص: 151.

8 ابو حامد الغزالي: هو حجة الاسلام محمد بن محمد ، ولد بخرسان عام 450هـ/1058، كان فقيها وفيلسوفا متصوفا ، وله نحو 200 مصنف، توفي بطوس سنة 505 هـ/1111م. ينظر: الزركلي: المرجع السابق، ج7، ص:22.

أجعله على يديه)[1] ،كما ذكر بن قنفذ القسنطيني أنه عندما مزق المغاربة (لمتونه) كتاب أحياء علوم الدين فدعا الغزالي بتمزيق ملكهم وكان المهدي حاظرا في مجلسه فقال على يدي قال : على يديك[2].

وأما عن الفريق المشكك في الرواية السابقة فنجد المراكشي حيث يقول : (وقيل أنه أي بن تومرت لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزهده والله أعلم)[3] ، كما نجد كذلك بن خلدون يشك في أمر الالتقاء من خلال قوله : (ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي وفاوضه بذات صدره)[4] ، وأما الفريق الذي ينفي فنجد ابن الاثير حيث يقول : (والصحيح أنه لم يجتمع به فحج من هناك وعاد إلى المغرب)[5] ،كما نجد كذلك الطاهر المعموري يعطي تحليلا لوقائع الاحداث التي كانت في تلك الحقبة ، فيقر بأن بن تومرت لم يلتقى قطعا بلغزالي على اعتبار أن حادثة إحراق كتاب الاحياء من طرف المرابطين في عهد علي بن يوسف كانت سنة 503هـ/1109م حسبما ذكر القطان[6]، وقد غادر الغزالي بغداد منذ حوالي سنة 488هـ /1105م واتجه نحو دمشق ثم غادر هذهالبلدة [7]منذ سنة 500هـ /1106م متجها نحو نيسابور[8]، وتوفي بها سنة 505هـ/1111م ، وهو ما يعني أن إبن تومرت لا يمكن أن يكون قد ألتقى بالغزالي إذا اعتبرنا أن خروجه من بلدته كان سنة 500هـ / 1106 م[9]وبعد عرض كل الاقوال المتعلقة بمسألة الالتقاء بين بن تومرت والغزالي نستطيع القول أن مسألة التقائهما هي قضيه حساسة وجوهرية كان من الواجب طرحها والاشارة إليها على اعتبار أن مجريات اللقاء تدعم موقفه بشكل عام فيما بعد ويظهر ذلك جليا خصوصا بعد انطلاق دعوة بن تومرت وبزو الحملة الدعائية التي تخدم مصالح الموحدين على حساب المرابطين ، وهو ما أشر إليه آنفا من أن الغزالي دعاء بهلاك المرابطين بعد إحراقهم لكتاب الاحياء

1عبد المجيد النجار: المرجع السابق ، ص ص 76-77.

2أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب ابن القنفذ القسنيطيني: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، 1968م، ص: 100. ينظر: الزركشي: المصدر السابق، ص: 4. وبن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص:46 و ابن ابي زرع : المصدر السابق، ص: 120.

3 عبد الواحد مراكشي : المصدر السابق، ص :178.

4 عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر، المصدر السابق ،ج6، ص: 466.

5 محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الاثير: الكامل في التاريخ، تح :محمد بن يوسف الدقاق ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط 1، 1987، مج9، ص: 195.

6 الطاهر المعموري: الغزالي وعلماء المغرب، تونس، الدار التونسية للنشر، 1990، ص:28.

7عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت : المرجع السابق، ص: 80.

8 نيسابور: هي مدينة واسعة الرقعة، افتتحها الخليفة عثمان بن عفاف سنة 30 هـ ، وسكانها هم مزيج العرب والفرس، وبها العديد من الكور والاودية. ينظر : اليعقوبي : المصدر السابق، ص- ص: 95-96.

9 يوسف علي بدوي: عصر الدويلات الاسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، الجزائر، دار الاصالة، ط1، 2010م، ص :163.

وصرح لتلميذه بن تومرت – حسب زعم البعض المؤرخين حينما كان حاضرا بمجلسه في بغداد بأنه هو من سيقضي على ملك المرابطين ، ويتولى هو أمر بلاد المغرب والاندلس مكانهم

وبعد رحله طويلة قضاها بن تومرت في طلب العلم في غرب البلاد الاسلامية وشرقها ، هم بالعودة إلى بلاد المغرب ولكن قبل أن يقفل راجعا عرج على مكة بالحجاز لأداء مناسك الحج للمرة الثانية ، وكان ذلك سنة 510هـ /1116م ، وهو ما يعني أن رحلته العلمية قد دامت 10سنوات ، ونظرا لتأثر بن تومرت بمنهج وأفكار بعض شيوخه في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد عمل تنصيب نفسه محتسبا في شؤون الاخلاق العامة وكان ينكر على الناس بشده فيما يخالف أحكام الشرع وكان هذا من الطبيعي أن يثير حفيظة البعض بمكة ويلحق به قدرا من الاذى في سبيل ذلك وبالتالي تم خروج بن تومرت من مكة بصفة مطرود[1]فاتجه نحو مصر ودخل الاسكندرية[2]،حيث قصد بها مجلس الفقه المتبحر في السياسة الشرعية أبوبكر الطرطوشي وقد لاحظ بن تومرت العديد من مظاهر الترف والبذخ التي انغمس فيها أهل الاسكندرية ورأى أنها لا تتوافق مع مبادئ الشريعة الاسلامية ، فأعلن إنكار هذه الاوضاع المتفشية بكل قوة وغلظة ، وهي دلالة على جرأة بن تومرت في تبليغ دعوته[3].

كما شرع بن تومرت في مباشرة حملته المعتادة التي يمكن أن نطلق عليها حملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حيث أنكر علىأهل بجاية ارتداءهم للثياب الناعمة المنسوجة من الأقراق الزرارية وكذا لباس الفتوحات بالنسبة للرجال ، على اعتبار أنها محرمة ولا يختص بلبسها سوى النساء ، وهو ما أكسبه احتراما وهيبة لدى فقهاء بجاية، كما صادف بن تومرت عيد الفطر هناك ، ولاحظ في اليوم الأول منه أن الرجال والنساء يسيرون في موكب مختلط مع سفور بعض النساء ، فدخل فيهم بن تومرت ، وبددهم بالعصا يمينا وشمالا[4]، وقد أدى هذا الحادث إلى اعتراض والى المدينة، على اعتبار أن ذلك مبعثا الاثارة الفتن والقلاقل داخل المجتمع ، وهو ما فرض على الوالي أن يستصدر أمرا بخروجه من المدينة ، فتم خروج بن تومرت من بجاية واتجه إلى منطقة أخرى تسمى ملالة[5]، ونزل في حماية أهلها، أووه وأكرموه[6]، ورفضوا تسليمه لصاحب بجاية على اعتبار أن صاحب بجاية تبين له

1سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ج5، ص-ص: 156-158.

2الاسكندرية : ذكر أن الذي بناها الاسكندر الأول ذو قرنين، كانت الاسكندرية لشدة بياضها لا يكاد يبين فيها دخول اليل إلا بعد وقته. ينظر: شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي: معجم البلدان ، بيروت، دار صادر، (د.ط)، 1988، ج1، ص: 217.

3حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 1998، ص: 87.

4البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، المصدر السابق ص: 30.

5ملالة: يفتح الميم ويشدد اللام، وهي قرية قرب بجاية تقع على الساحل بحر المغرب . ينظر: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص 189.

6سعدون نصر الله: تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي حتى سقوط غرناطة (20-798هـ/640-1492م)، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 2003، ص: 286.

أن يأسر هذا الرجل أو يقتله أفضل من طرده وتركه حرا طليقا، فهو حالة يفترض أن يتوجس منه خفية، وبالتالي أقام بن تومرت بينهم ، وأخذ يدرس العلوم الدينية بهذه المدينة ، وكان إذا فرغ من التدريس يجلس في قارعة، الطريق لإرشاد الناس إلى قول الحق وفعله والابتعاد عن كل ما هو باطل من قول وفعل وعقيدة وهو ما أكسبه مكانة دينية واجتماعية راقية لدى الناس، وبعد ما ذاع صيته أكثر في المنطقة بني له أهل ملالة مسجدا ، وسمي باسمه ، حيث كان يتصدر فيه المهدي لتدريس العلوم الشرعية على طلبته الذين كانوا يفدون إليه من مختلف المناطق كما كان بن تومرت يفرد جزءا كبيرا من وقته للذكر والصلاة وقراءة القرآن.[1]

3-مرتكزات مهداوية عند بن تومرت :

لقد حضي الفكر التومرتيباهتمام العديد من الباحثين حيث قرأ البعض أن ابن تومرت قد بلغ درجة الاستقلال في النظر والتحرر في التقرير[2]ولقد تعددت مشارب بن تومرت الفكرية وهذا نظرا لتأثير الرحلة العلمية التي دامت 10 سنين على قول أغلب الباحثين في فكر بن تومرت ومن هذه المشارب تذكر

3-1-المذهب المالكي :

ضمت قائمة شيوخ العلم الذين تلقى عنهم بن تومرت في رحلته أسماء ثلاثة من فقهاء المالكية وهم ابن حمدين (508هـ) فقيه بقرطبة والمازري[3]فقيه بالمهدية والطرطوشي لقية بالإسكندرية ولقد ظهر أثر ذلك فيما بعد كإقرار بحجيه عمل أهل المدينة وإقباله على الاعتناء بتدريس موطأ الامام مالك في صيغة المعدلة تحت اسم(محاذي الموطأ)

ويذهب البعض أنه لم يقصد ذلك سوى ترضية للاتجاه المالكي السائد حيث كان الفقهاء المالكية أنهم كلما جاء أحد من المشرق بعلم دفعوا في صدره وحقروا من أمره إلا أن يستتر عندهم بالمالكية ويجعل ماعنده من علوم على رسم التبعية[4]

ولقد ذهب بعض الباحثين إلى إثبات الانتماء المالكي لا بن تومرت بل منهم من ذهب إلى حد الجزم بأنه نشأ مالكيا وعاش مالكيا ومات مالكيا[5].

1-البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، ص: 31.

2عبد المجيد النجار: الاجتهاد عند المهدي بن تومرت ضمن كتابه فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1992، ص:85.

3المارزي : هو ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي ولد بصقلية عام 453هـ/1061م، كان محدثا وفقيها مالكيا بارزا، ثم استقر بالمهدية وتوفي بها عام 536هـ/1141م. ينظر: خير الدين الزركلي : نفس المرجع، ج6، ص 177.

4ابن العربي: العواصم من القواصم، ص ص 490-491.

5عبد الله علي علام: الدولة الموحدية، ص- ص 304-306.

ومع ذلك فقد كان هناك موقف وسط حيث أن بن تومرت كان أقرب إلى المالكية في أصولها عند مؤسسها من حيث أنها تجري على منهج تأصيل الاحكام على أدلتها من نصوص القرآن والحديث ومن الاجماع وهو ما يحصل على الاعتقاد أن بن تومرت ، وإن كان يدين للمذهب المالكي على الاقل في تكوينه الفقهي إلا أنه لم يقع تحت إي ضغط حتم عليه تقديم تنازل ، بل لعله كان يدرك أكثر أن التسليم ببعض مقررات المذهب المالكي والنكوص عن بعضها الاخر لم يكن يشفع له عند فقهاء المذهب الذين ما كان ليرضيهم ذلك[1].

3-2-العنصر الشيعي :

يرى بعض المؤرخون إلى أن بن تومرت كان يبطن شيئا من التشبع غير أنه لم يظهر منه إلى العامة شيئا[2]وقد صرّح الذهبي الذي كان أكثر وضوحا في قوله(إنه من رأيه القول بعصمة الامام على رأي الامامية من الشيعة)[3].

كما يرى البعض من منطلق أن (الحركات الثورية في الاسلام تبنت دائما إيديولوجيةشيعية)[4] أثرا في القول بتشيع بن تومرت. وذهب البعض إلى أكثر من ذلك حيث عمد إلى الاعلاء من شأن حضور المؤثرات الشيعة في فكره وراح يلتمس من القرائن ما يدل على وقوع بن تومرت تحت تأثير دعاة الباطنية الاسماعلية في المشرق الذين يعتقد أنهم استوعبوه ضمن أحد تنظيماتهم السرية[5]ويستدلون على ذلك أنه في أيام الخليفة العباسي المستظهر بالله (487هـ - 512هـ)[6] وهو ما يوافق وجود بن تومرت في المشرق (غلت الاقطار بالباطنية)[7] أما دعوة تأثره بالمقررات الشيعة في قول الامام المعصوم حيث يقول بن تومرت في رسالة له عن الامامة يقول أنها (ركن من أركان الدين ، وعمدة من عمد الشريعة ولا يصلح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الامامة في كل زمان من الازمان ، إلى أن تقوم الساعة ، ما من زمان إلا وفيه إمام لله قائم بالحق في أرضه ... ولا يكون الامام إلا

1عبد المجيد النجار: الاجتهاد عند المهدي بن تومرت ضمن كتابه فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب ،المرجع السابق، ص 505.

2عبد الواحد مراكشي: المصدر السابق، ص 168.

3شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي : العبرفي خبر من غير ، تح محمد السعيد زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية(د.ط)، 1985، ج6، ص 267. ينظر: القلقشدي ابو عباس: صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، القاهرة ، المطبعة الأمرية، ج5، 1914، ص: 136.

4توما اميل : الحركات الاجتماعية في الاسلام، بيروت، دار الغرب، (د.ط)، 1980، ص: 88.

5 اسماعيل محمود: فكرة التاريخ بين الاسلام والماركسية، القاهرة، (د.ط)، 1988، ص-ص: 134-136.

6المستظهر بالله العباسي: هو ابو عباس احمد بن محمد بن القائم، ولد عام 470هـ 1077م، تولى الخلافة العباسية في عام 487هـ ، كان كريم الخلق وحازم في شؤون الحكم، وله معرفة بالادب. توفي عام 512 هـ /1118م. ينظر: خير الدين الزركلي : المرجع السابق، ج1، ص 158.

7شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي: سير اعلام النبلاء ، تح: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة ، (د.ط)، ج19، 1985، ص 403.

معصوما من الباطل ....معصوما من الضلال ...معصوما من الجور ..)[1] ومثل هذا الكلام في الامامة والذي لا يكاد يخرج عن كلام الشيعة وهذا مايؤكد من تقاطع الفكر التومرتي مع الفكر الشيعي في مسألة القول بالإمام المعصوم[2]فالإمامة كما عرفها بن تومرت (معناها الإتباع و الاقتداء والسمع والطاعة والتسليم والامتثال للأمر واجتناب النهي والأخذ بسنن الإمام في القليل والكثير ...)

يظهر أن بن تومرت لم تكن تهمة الدلالة النظرية للإمامة وإنما كان يهمه المنحنى العلمي لها وبذلك لم يكن جوهر إمامته نظريا بل كان عمليا سياسيا حيث أن مجالها كان يدورعلى الطاعة والانقياد[3].

كما يظهر أيضا حسب ماساقه بن تومرت في تعريفه لإمامة إلى أن العصمة التي أدعاها لنفسه درجة وسطى بين عصمة الشيعة التي أثبتوها للإمام وبين شروط الإمامة التي وضعتها سائر الفرق فيما يتعلق بالعلم والعدالة[4].

وبذلك يكون بن تومرت قد أحتبس صورة العصمة من الشيعة وأقتبس محتواها من أهل السنة ، كما برز البعد السياسي لدعوى الإمام المعصوم في منظومة الفكر التومرتي وهو ما دعا باحثا لأن يرى بحق في بن تومرت أسطع نموذج حاول أن يقيم السلطة على العصمة[5].

3-3-العنصر الأشعري :

يرى أكثر المترجمين والباحثين أن بن تومرت كان على مذهب أبي الحسن الأشعري[6]في أكثر المسائل وهذا ما يؤكده بن خلدون في قوله (وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذهب الاشعرية في كافة العقائد)[7] وفي الحقيقة أن ابن تومرت كان مصدرا مهما من مصادر الاشعرية في بلاد المغرب ، فالمهدي وافق الاشعرية في بعض آرائهم ولكنه خالفها في كثير منها ومن أكثر المسائل التي توافق فيها مسألة القدرة والإرادة الإلهية والفعل الإنساني والعقاب والثواب والرؤية ومن المسائل التي أختلف فيها مع الاشعرية منها الصفات في علاقتها بالذات الإلهية، وكذلك والتكلف بما لا يطاق وحكم مرتكب الكبيرة[8].

---

1 محمد بن تومرت : أعز ما يطلب ، تح عمار طالبي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ط)، 1985، ص: 299.

2 الادريسي علي: المرجع السابق، ص 136.

3Goldziher, Ignas : mohammed Ibn Toumert et theologie de l'Islam dans le nord l'alfrique au XIe secles, alger : imprimerie , orientale Pierre fontana, 1903, P 91.

4عبد المجيد النجار : الاجتهاد عند المهدي بن تومرت ضمن كتابه فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب ،المرجع السابق ، ص: 252 .

5 الادريسي علي : المرجع السابق ،ص: 175 .

6 أبي الحسن الأشعري: هو أبو الحسن علي بن اسماعيل بن اسحاق ، ولد بالبصرة عام 260هـ/874م، نبع في علم الكلام ، واسسس مذهبا كلاميا خاصا به، والف العديد من الكتب ، وتوفي سنة 324هـ/936م. ينظر: الزركلي: المرجع السابق، ج4، ص 263.

7عبد الرحمان بن خلدون : كتاب العبر ج6، ص466. وشارل أندري جويان : تاريخ إفريقيا الشمالية ج2 ، ص:124 .

8 عبد المجيد النجار : المرجع نفسه ص 357.

كانت طريقة بن تومرت الاشعرية نظرية قياسه تأويلية في تعريف الخالق وصفاته لذلك نراها تنفي أكثر مما تثبت كما بين ذلك بن تيمية[1].

كما تجدر الإشارة إلى علاقة أراء المهدي بن تومرت بالغزالي والذي يعتبر أحد أعمدة المذهب الاشعري فإلى أي مدى تأثر التلميذ بأفكار أستاذه ؟ والى أي حد توافقا ؟

فيظهر التأثر في نزعة التحرير العقلي وطرح التقليد خاصة في المسائل الذاتية مثل طريقة إثبات رؤية الله عز وجل و الإعلان من شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعض المسائل الأصولية الجزئية

أما إذا ذهبنا إلى المفارقات بين الرجلين فنجد خلافا في مسألة الإمامة ،حيث أن الغزالي شديد العداء لمسائل المهدية والعصمة كما يبدوا شديد العداء للثورة على الإمام لما تؤدى إليه من الفتنة وهذا خلافا للمهدي الذي جعل المهدية والعصمة والثورة على الإمام الجائر أساسا لفكره السياسي[2].

كما أن الغزالي كان داعية في خدمة سلطه معينة أي الخلافة العباسية والسلطة السلجوقية ولم يكن يفكر في تأسيس كيان سياسي جديد وهذا بدليل ميولاته الصوفية الانعزالية والمتزهدة رغم هذا وضع أسس دعاية قومية ناجحة مبنية على قواعد التلقين وقوانين التدرج في طرح الحقيقة حسب الموهبة والاستعداد عند الملتقى لذلك, هذه القواعد هي التي طبقها بن تومرت لنشر دعوته ,الفرق الوحيد هو أن الغزالي اكتفى بدورالمعلم وخادم السلطة في حين أن إبن تومرت تطلع إلى تأسيس دولة[3].

3-4-العنصر الاعتزالي:

أن المتتبع للآراء بن تومرت فيما أفرزته من عناصر مذهبية ومن هذه العناصر الفكر الاعتزالي ، فإن عبد الواحد المراكشي الذي عد بن تومرت أشعريا في أكثر المسائل ،حيث استثنى من ذلك موقفه من مسألة الصفات فإنه يراه وافق المعتزلة في نفيها[4]وكل ما يؤكد اعتزاليه بن تومرت الرواية التي أنفرد بها " بن القلانسي "،حيث يقول:(أن ابن تومرت لما نزل المهدية دعا أهلها إلى بناء قصر على نية (أن يعبدوا الله فيه بالفكرة) ولقد تجاوب بعض فقهاء والمشايخ لهذه لفكرة إلى أن قام من بينهم من فهمهم ونبهم ونهاهم فعادوا حينئذ عنه وأبطلوا ما كادوا يفعلون)[5].

1عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب. بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،ج2 ،1994م ،ص:146.

2عبد المجيد النجار : الاجتهاد عند المهدي بن تومرت ضمن كتابه فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب ،المرجع السابق ،ص:360.

3عبد الله العروي :المرجع السابق ،ص:147.

4عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص:162

5 إبن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، تح: سهيل زكار ، دمشق ، دار حسان (د،ط) 1983 ، ص: 454.

ومما يمكن أن تفسر من لفضة (الفكرة) وإنها تعبر عن تفكير تجردي خاص ، وهو ما يتناسب وصورة الإغراق في التنزية الذي هو سمة عقيدة المرشدة التومرتية[1].

ويبدو أن هذه النزعة والاغراق في التنزية كانت وراء زج بن تومرت في الدائرة الاعتزالية ، مع أنه لا يمكن تناول هذا الجانب من فكر بن تومرت خارج السياق الإيديولوجي الذي ذكرت فيه أدلته المغرفة في التنزيه ولا بمعزل عن المرابطين وفقهائهم وهم المخاطب في هذه الحال, الذين اتهمهم بن تومرت بالمجسمين[2].

كما ذكر الذهبي في الصدد بقوله(سمى إبن تومرت المرابطين بالمجسمين وما كان أهل المغرب يدينون إلا بتنزيه الله تعالى عما لا يجب ووصفه بما يجب له ، مع خوضهم فيما يقتصر القول عن فهمه)[3].

ولقد رد بن تيميه على ابن تومرت (استحل دماء ألوف مؤلفه من اهل المغرب المالكية .. فزعم أنهم مشبهة مجسمة ولم يكونوا من أهل هذه المقالة ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبية و التجسيم[4].

3-5-العنصر الظاهري (الحزمي) :

يظهر تأثير بن تومرت بالعنصر الظاهري واضحا فيما يتعلق بالعقيدة وذلك في مسألة الصفات الإلهية فقد انتهزكل من بن حزم والمهدي إلى حل المسألة ما سمى الله تعالى به نفسه من الأسماءبالإضافة إلى تقرير صفة الإرادة الإلهية وتحديد اسم مرتكب الجريمة، كما أشترك القول في مسألة نبذ القياس و هذه المسألة اختلف فيها العديد من علماء المسلمين حيث نرى أن المالكية وسائر أصحاب المذاهب الفقهية الأخرى; تقر إلى أثبات القياس في الاحكام ونفيه في التوحيد, في حين تمسك الظاهرية بنفيه فدعا كل منهما أي الظاهرية وابن تومرت إلى الرجوع إلى القرآن والحديث والإجماع لاستنباط الأحكام الشرعية منها مباشرة[5].

4- دور المهدوية في قيام دولة الموحدين :

لقد عمل بن تومرت منذ بداية على بث دعاية سياسية مناهضة للمرابطين بين قبائل جبل درن ، تمهيدا للدخول في مواجهة حاسمة معهم ، وكانت أساليب هذه الدعاية متنوعة، فكان من بينها توظيف النصوص الدينية قصد تجريد السلطة المرابطين من مشروعيتها وإيجاد المبررات الشرعية للقيام عليها.[6]كما هجاهم بعدة أوصاف محرضة ، فنعتهم قبل وصولهم إلى السلطة بأنهم كانوا حفاة عراة عالة ، رعاة الشاة، البهم ، الجهلاء. وبعد وصولهم

1عبد الرحمان بدوي : تاريخ التصوف الاسلامي من البداية حتى النهاية القرن الثاني ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ط2 ، 1978 ، ص: 70.

2عبد المجيد النجار : تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المرجع السابق ، ص:92.

3الذهبي : سير أعلام النبلاء,ج19 ، ص: 550.

4إبن تيمية : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمان بن القاسم ، الرباط ، مكتبة المعارف ،ج11 ,(د،ط) ، ص:478.

5عبد المجيد النجار : المهدي بن تومرت ،المرجع السابق ، ص: 361.

6مؤلف مجهول: الحلل لموشية، ص ص : 82-83.

إلى الحكم قال فيهم :" جاؤوا في آخر الزمان ، ملوك تطاولوا في البنيان ، يلدون مع الإماء ويستكثرون من الجواري، صم، بكم عن الحق وليسوا أهلا لحفظ الأمانة الإلاهية ، نساؤهم متبرجات ويؤمنون بالتفكير المادي في أمور العقيدة ، والتي تتنافي مع عقيدة التوحيد ، كما اتهمهم بإبطال أحكام القرآن والسنة[1]، وإلى جانب تلقيبهم بالمجسمين ، فقد لقبهم بن تومرت كذلك بالزراجنه ، وهو نوع من الطيور له ريش أبيض وبطن أسود ، اي كناية على بياض ثيابهم وسواد قلوبهم[2]، وقد لجأ ابن تومرت إلى اعتماد أسلوب ذكي في إيراد الأحاديث النبوية والاستدلال بها ، منها أحاديث عن فساد الزمان واختلال الأوضاع ، حتى استقر في أذهان الناس أن ما أنبأت به النصوص هو مطابق للواقع المعاش ، وصور لهم أن المخرج من هذا الواقع لا يكون إلا المهدي الذي سيملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا، وساق لهم أحاديث المهدي المنتظر ، حيث لا يدع مجالا للشك أنها تنطبق عليه[3]، لكنه كان يدرك أن الدولة المرابطة أعظم ما تكون قوة وأشد شوكة وأعز أنصار وحامية.[4]

كما كان يدرك أن الدولة المرابطية كانت تستمد قوتها عن طريق تحالفها مع الفقهاء الذين بدورهم كانوا يمثلون هيئة لها رسوخ في المجتمع ولها سلطة معنوية كبيرة ونفوذ واسع في تسيير الحياة اليومية.[5]

ولقد تركزت سياسة بن تومرت في حملته على الفقهاء المرابطين على ناحيتين :

الأولى هو الانتقاص من جدارتهم العلمية كما سبق الذكر إذ يقول عنهم :" تسموا باسم العلم ونسبوا أنفسهم إلى السنة ، وتزينوا بالفقه والدين"[6]، وهذا لم يكن يعترف به بن تومرت، وقد حاول تثبيت هذه النظرة التحقيرية للفقهاء ، كما نعتهم بأنهم في الغالب كانوا صياما عن جميع العلوم النظرية خلا علم الفروع[7]، وأما من الناحية الثانية فهي التشكيك في استقامتهم ونعتهم بالمتاجرة في العلم والدين وتسخيره في تأييد الحكام الظلمة مقابل ما ينالوا من حطام الدنيا ، فهو نعتهم على أنهم تعلقوا بالكفرة أي الحكام المرابطين، و انحازوا إلى جانبهم لأجل أن :" يصلون بفتواهم إلى أباطيلهم وأهوائهم ... وأن يتحيلو بذلك على ما في أيديهم ، وليصونوا بذلك دنياهم ... ولينالوا بذلك الحظ العاجل ويجمعوا به الحرام ...".[8]

1يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، ج 1، 2007، ص :190.

2عبد الله عنان : المرجع السابق، ج1، ص : 185.

3ابن تومرت : المصدر السابق، ص ص :281-293.

4ابن خلدون : المقدمة،المصدر السابق ، ص 33.

5زنيبر محمد: الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي بن تومرت، مجلة المناهل، العدد 24، 1982، ص: 103.

6 البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص ص: 47-49.

7عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق، ص: 160.

8ابن تومرت : المصدر نفسه، ص ص: 245-262.

وأما عن النشاط الدعائي للفقهاء والمرابطين ضد حركة بن تومرت ، فيبدو من خلال رسائل بن تومرت ، وهي تلك التي بعثها إلى أنصار دعوته سنة 521 هـ، حيث خصص قسما منها لمهاجمة الفقهاء الذين نعتهم بأعوان الكفرة الملثمين ، حيث استفرغوا مجهودهم في معاونتهم ، وأعانوا على باطلهم، ويقطعون الناس عن الحق (أي دعوة الموحدين) ، ويردونهم إلى نصرة المرابطين ، وكما تلبسوا على الناس بالزور وقالوا بطاعة المرابطين لازمة، وأشاعوا بأن الموحدين، قاموا بحريف الحق بالزور و البهتان. فهذا الاتهام المتكرر من بن تومرت للفقهاء بالتدليس والتكتم على الحق لخير دليل على قوة الحملة الدعائية التي شنها هؤلاء الفقهاء على بن تومرت والتي عملت على ولاء للدولة المرابطية.[1]

4-1- مرحلة جمع الأنصار:

تعتبر مرحلة جمع الأنصار والمؤيد لفكرإبن تومرت ونشاطه من أهم الخطوات الإعدادية لتنفيذ المشروع الموحدي الهادف إلى الإصلاح وتغيير الأوضاع ، وإن كان هذا يقودنا إلى طرح إشكال يخص حالة الثورة فهل كانت متخمرة في ذهنه منذ بداية –أي منذ انطلاقه في عملية التطوين الشخصي ورحلته العلمية- أم أنها خطرت بذهنه بعد أن لاحظ صدى تأثيره في الناس والتفافة محوله عقب عودته رحلته ؟ ثم ما هو سقف هذه الأهداف والشروط التي كان بن تومرت يسعى إلى تحقيقها في مواجهته للنظام المرابطي وعليه يمكن القول بأن بن تومرت قد بدأ في استقطاب الدعم البشري منذ عودته من رحلته العلمية، وهي تعتبر ثاني الإجراءات التحضيرية لإعلان انطلاق المشروع الموحدي; وقد تعزر دور هذه المرحلة أكثر منذ أن وطئت أقدام بن تومرت أرض ملالة والتقى هناك بعبد المؤمن بن علي الكومي[2]، وقد أخذت قصة التقاء الرجلين اهتماما كبيرا لدى المؤرخين لما لها من تداعيات مهمة أثرت على تطور الأحداث فيما بعد، حيث ذكر لنا البيدق أنه ذات يوم حينما كان بن تومرت جالسا على حافة الطريق ، سمعه بعض الطلبة يقول:" الحمد لله الذي أنجز وعده ونصر عبده وأنفذ أمره" ، ثم اتجه نحو المسجد وصلى ركعتين ثم قال :" الحمد لله على كل حال، قد بلغ وقت النصر ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، يصلكم غدا طالب طوبى لمن عرفه وويل لمن أنكره "[3] فإحتار الناس في عبارته ، وقد كان عبد المؤمن بن علي في جولة لطلب العلم بحكم تعطشه إلى المزيد من العلوم والثقافات ، فخرج مع عمه يعلو قاصدا

[1] البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص :140.

[2] عبد المؤمن بن علي :هو علوي بن يعلا بن الحسين بن كنونة بنت ادريس بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ينتسب إلى قبيلة كومية من قبائل صنهاجة بالمغرب الأوسط .ينظر: البيدق :كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ، المصدر السابق ، ص13.

[3] البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص: 32.

المشرق ، وعندما وصلا إلى متيجة[1] نزلا عند الفقيه أبي زكرياء ، وبعدها انتقلا إلى بجاية ونزلا بمسجد الريحانة[2]، وهناك سمعا الناس يتحدثونعن الفقيه السوسي محمد بن تومرت ، وكانوا يذكرونه بصلاح دينه وغزارة علمه وسعة فهمه لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فتاقت نفس عبد المؤمن إلى لقياه ، فاستأذن من عمه ، فأذن له ولكن أوصاه هذه الأخير بسرعة العودة ، وفي هذه السياق يروي لنا البيدق: " أنه لماجدّ عبد المؤمن السير نحو الامام في ملالة ،التقى في طريق مع بعض الطلبة ، فسار معهم إلى أن بلغوا باب المسجد ، ولما رآه الإمام المعصوم قال له : أدخل يا شاب ، فدخل فأراد أن يجلس في جماعة الناس ، فقال له المعصوم، أدنو يا شاب ، فلم يزل يدنو من الامام[3] والمعصوم بقربه حتى دنى منه، فقال له المعصوم:" ما اسمك يا فتى ؟ فقال عبد المؤمن، فقال له المعصوم: وأبوك علي ؟ قال : نعم، فتعجب الناس ، فقال له: يا شاب من اين اقبالك ؟ قال له : من تلمسان[4] من ساحل كومية، فقال له : من تاجرا ، أم لا ؟ فقال: بلى ، فازداد الناس تعجبا ، فقال له المعصوم: أين تريد يا فتى ؟ فقال يا سيدي نحو المشرق ألتمس فيه العلم فقال له العلم الذي تريده بالمشرق قد وجدته بالمغرب ، ثم عرض عليه بن تومرت أن يبيت عنده ، فوافق[5]، ولما جن الليل طلب بن تومرت عبد المؤمن أن يناوله كتابا كان موجودا في احدى الأوعية ،ثم طلب منه أن سيرج سراجا، ثم قرأ عليه بن تومرت :" لا يقوم الأمر الذي فيه حياة الدين إلا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين ، فذهل عبد المؤمن وقال : يافقيه ما كنت في شيء من هذا إنما أنا رجل أريد أن يطهر في الله من ذنوبي، فقال له:" إنما تطهير الدنيا على يديك ، فطوبى لأقوام أنت مقدمهم وويل لقوم خالفوك أولهم وآخرهم، وأكثر من ذكر الله يبارك لك في عمرك ويهديك ويعصمك مما تخاف وتحذر"[(6)]، وبعد ذلك عزما على توجه نحو المغرب الأقصى، فمر عبر عدة مدن قاما فيها بممارسة التعليم والأمر بالمعروف والنهي بالمنكر ، حيث شملت نقاط المسيرة كل من متيجةومليانة[7] والونشريس[8]، ثم تلمسان ، حيث

---

[1] متيجة: يفتح اوله ويكسر ثانيه، وتشديده ثم ياء مثناه من تحت الجيم: بلد في آواخر افريقية من اعمال بن حماد، وتمتد من اشير الي جزائر بن مزغناي، ومن اشير الى المدية، وهي مدينة على نهر كبير عليه الارجاء والبساتين ولها مسارح كثيرة. ينظر:الحموى:المصدر السابق، ج 5، ص:53.

[2] عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص: 288.

[3] حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص: 92.

[4] تلمسان: بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان احداهما قديمة والأخرى حديثة ، والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب، واسمها تافزت، فيها يسكن الجند واصحاب السلطان اضاف من الناس ، واسم قديم أقادير، تكشف الرعية. ينظر: الحموي: المصدر السابق، ج2، ص 02.

[5] حمدي عبد المنعم محمد حسين: المرجع السابق، ص: 92.

[6] البيدق: المصدر السابق ، ص: 36.

[7] مليانة: مدينة كبيرة جدا قديمة ، بنوها الرومان واطلقوا عليها اسم ماكنانة، لكن العرب حرفوا هذا الاسم ، تقع هذه المدينة في قمة جبل، على بعد نحو اربعين ميلا من البحر، أي عن شرشال. ينظر: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: المصدر السابق، ص-ص: 34-35.

[8] الونشريس: جبل عال شديد الانحدار، سكانه اشداء في الحرب ، وهم على قتال دائم لملوك تلمسان، ينظر: مارمولكربخال: افريقيا، تر محمد حجي وآخرون، الرباط، دار النشر والمعرفة، (د ط)، ج2، 1988-1989، ص :360.

التقيا في هذه الأخيرة بالفقيه علي صاحب الصلاة وانظم إليهم[1]، و ولما أصبح بن تومرت يشكل خطرا على مكانة الفقهاء المرابطين ، فقد وشوا به إلى والي المدينة، فتم طرده واتجه نحو فاس ، ولما وصل إليها انتصب للتدريس في إحدى مساجدها، وكان يركز في ذلك على التدريس أمور العقيدة على طريقة الأشاعرة ، فتحزب ضده الفقهاء خوفا من أن يفسد عقول العامة ، وأبلغوا أمره إلى الوالي ، فقرر هذا الأخير إجراء مناظرة بين الطرفين فأفحمهم بن تومرت ، نظرا لعقمهم في ميدان العلوم النظرية ، وهو ما جعل الوالي يقرر طرده من المدينة ، فاتجه بن تومرت نحو العاصمة مراكش[2]، ونزل هناك بجامع على بن يوسف في منتصف ربيع الأول من عام 515هـ/ 1121م[3]، وهنا نستطيع القول بأن دخول بن تومرت إلى مراكش عاصمة الدولة المرابطية تمثل مرحلة حاسمة له في سياسته الآمر بالمعروف والناهية عن المنكر; حيث أنه دخل في مواجهة مباشرة مع نظام الحكم المرابطي وعلى رأسهم الأمير علي بن يوسف[4]، وقد ذكر البيدق أن تومرت لما دخل إلى الجامع ووجد به أمير ابو يوسف الحسن علي رفقة وزرائه وكانوا منقبين،فطلب أحد الوزراء من بن تومرت إلقاء السلام على الخليفة فرد المهدي بقوله : " وأين هو الخليفة ، فأنا لا أرى إلا جواري منقبات ،فكشف الأمير وجهه ، وقال : لقد صدق، ثم ذهب بن تومرت إلى مسجد عرفة والتقى عناك بجل فقهاء مراكش وناظرهم ،فكانت الغلبة له عليهم[5]، وقد كان بن تومرت أثناء تواجده بمراكش يقوم بجملة انتقادات واسعة شملت كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والأخلاقية التي يمارسها نظام الحكم ، ولما التقى بالأمير على مرة ثانية في بلاطه ظهر وكأنه يتكلم باسم الفئات المهمشة والمعروفة في المغرب والأندلس، بلهجة قوية أثارت ارتياب رجال السلطة ، حيث فهموا أنه يناور بأوراق مخفية تجاوز كونها مجموعة من النصائح المتضمنة لأوامر بتحقيق المعروف ونواهي الاستمرار المنكر ورأوا أنها تمثل حملة عدائية وتعبوية مضادة تهدف إلى تحقيق أهداف سياسية خطيرة تقضى على كيان الدولة ، قد كان مالك بن وهيب وهو أحد ألمع فقهاء البلاط المرابطي أول من أشار على أمير بوضع حد لهذا الرجل قبل ستفصل أمره وتحرض الأمور عن السيطرة[6]. حيث نصحه قائلا:" أيها الملك ، إن عندي لنصيحة إن قبلتها ومدت عاقبتها ، وإن تركتها لم تأمن غائلتها، فقال الملك: ما هي؟ قال:إني فائق عليك من هذا الرجل ، وأرى أنك تعتقله وأصحابه

[1] عبد المجيد النجار: تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت ، المرجع السابق، ص :63.

[2] محمد بن عمر والطاهر: تلمسان عبر العصور،

[3]عبد المجيد النجار: المرجع نفسه ، ص: 64.

[4] ابن الاثير : المصدر السابق، ج10، ص: 57.

[5] البيدق: أخبار المهدي بن تومرت ، ص: 48.

[1] البيدق: نفس المصدر ، ص:48

[2]داود عمر سلامة عبيدات : المرجع السابق، ص: 35.

، وتنفق عليهم كل يوم دينارا لتكتفي شره، ,إن لم تفعل ذلك لتنفقن عليه خزائنك كلها ، ثم لا ينفعك ذلك"[1] ، وفي رواية عند بن خلدون قال له كذلك:" اجعل على رجليه كبلا لئلا يسمعك طبلا"[2] كما صدر رأي بقتله أو طرده، إلا أن الأمير استقر قراره على طرده ، وذلك حفاضا على سمعة الدولة المرابطية ،وحتى لا يقال أنه سجن أو قتل رجلا عالما فقيها بريئا من جرما بين[3].وبالتالي تم طردهم من مراكش، ولم تكن حادثة الطرد التي تعرض لها بن تومرت من طرف الأمير على وحاشيته لتفل من عزمه، بل دفعته مضيا إلى مواصلة نشاطه.

والجدير بالذكر هو أن بن تومرت قد استنتج من خلال ما حدث معه في بلاط الأمير هو ضعف سلطة الأمير وانقياده للفقاه[4]، وقام بعهدها بنصب خيمة بإحدى مقابر المدينة النائية ، ثم شرع في إلقاء نوع من الدروس رآها تخدم فكرته ونشاطه ، وهي معرفا تأخذ في معظمها الطابع الديني العقدي الممزوج بالبعد السياسي، وقد كان لهذا البعد الجديد لمواعظ بن تومرت ومحاضراته تأثيرا بالغ لدى نفوس الطلبة ، وهوما جعل الأمير المرابطي يشتغل جديا في أمره ،فاستدعاه مرة أخرى وأمره بالخروج من المدينة وضواحيها[5].

فرجع بن تومرت إلى أصحابه وقال لهم:" لا مقام لنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب وإن لنا بأغمات[6]أخا في الله فنقصده، فلن نعدم منه رأيا ودعاءً[7]، وهو الفقيه عبد الحق بن إبراهيم المصمودي"[8]

وهكذا خرج بن تومرت واتباعه إلى مدينة أغمات وريكة ، حيث نزلوا بجامع وطاس الذي يعتبر كتابا يدرس فيه معلم البلدة عبد الحق ابراهيم المصمودي ، هذا الأخير لم يرحب بابن تومرت ولم يستقبله ، ويرجع ذلك حسب اعتقادناالى خوف الفقيه الأغماتي على مكانته من طرف الفقيه السوسي ، وهو ما يعني أن العلاقة قد اتخذت صبغة عدائية وتنافرية بين الفقهين ، وقدتم إجراء مناظرات بينهما في الأمور العقدية ، وانقسمت القبيلة بعد ذلك طائفتين تكفر كل واحدة منها الأخرى ،وبعدها قرر بن تومرت أن يخرج من هذه الدوامة يتحول عن

---

[3] ابن حنكان : المصدر السابق، ج5، ص :50.

[4] ابن خلدون : كتاب العبر، المصدر السابق ج6، ص: 304.

[5] البيدق: المصدر نفسه ، ص :48.

[6] ابن ابي زرع الفاسي : المصدر السابق، ص :122.

[1]عبد المجيد النجار: تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت ،المرجع السابق، ص: 101.

[2]أغمات: وهي مدينتان سليمتان احداهما سميت أغمات ايلان، والأخرى أغمات وريكة وبها مسكن رئيسهم، وبها ينزل التجار الغرباء، وأغمات ايلان لا يسكنها غريب، وبينهما ثمانية أميال، ولها نهر لطيف جريته من القبلة إلى الجوف، ماؤه زعاق، يقال له تاقيروت، وحولها بساتين ونخل كثير، وهو واسع يسكنه قبائل مصمودة. ينظر : العباس بن ابراهيم الشملالي: الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، مر عبد الوهاب ابن منصور ، الرباط ، المطبعة الملكية، ج 1، 1993، ص: 100.

[3]السبكي: المصدر السابق، ص :72.

[4]عبد الحق بن ابراهيم المصمودي: هو أحد الفقهاء الذين كانوا يدرسون بجامع وطاس في اغمات ، وقد جرت له مناظرة مع بن تومرت ، فأفحمه هذا الأخير . ينظر: البيدق : أخبار المهدي بن تومرت،المصدر السابق، ص: 30.

القبيلة ، فرحل عنها بعد أن ترك بها عصبة موالية له يرأسها إسماعيل بن ايجيج[1]وأثناء سيره نحو منطقة تينملل[2]وصله في الطريق نبأ عن طلب الأمير علي بالقبض عليه ، وهو ما جعله يجري اتصالا مع اسماعيل ويطلب منه اعداد 200 رجل مسلح من بني عمه، وكان بن تومرت في المقابل يعقد الاحلاف مع القبائل البربرية على طول الطريق إلى تينملل[3]، وقبل أن يصل بن تومرت إلى تينملل عرج على منطقة ايجليز وهي قرية تقع حيث تتواجد قبيلته هرغة، فأقام عناك رابطة للعبادة كتلك التي أقامها عبد الله بن ياسين ، وكان ذلك سنة 514 هـ، فتجمع فيها الكثير من الطلبة وأعيان القبائل .[4]

وأما فصول البيعة التي كانت لابن تومرت وما لحقها من ترتيبات وتنظيمات، فقد تمت منذ وصوله إلى تينملل، والجدير بالذكر هو أن هذا الأخير قد بدأ خطابه يتغير تجاه نظام الحكم المرابطي منذ أن حل بأغمات وريكة، حيث أعلن هناك خلع مبايعته لعلي بن يوسف وأمر اتباعه بتنفيذ نفس الأمر ، فأعلن الجميع خلعه، وهو ما يعني أنه حدث تقدم نوعي رسمي في صراع بن تومرت مع الدول المرابطية ، حيث أن مشروعة التغيري بدأ أيشهد مراسم التنفيذ وكانت المرحلة هي الخطوة التمهيدية لإعلان مهدويته[5]، وبعد وصول بن تومرت إلى تينملل تذكر كتاب الجفر الذي طالعه من قبل ،وهو يتعلق بعلوم أهل البيت، حيث قرأ فيه صفة الرجل الذي يظهر بمنطقة السوس في المغرب الأقصى ، ويكون من ذرية الرسول (ص) ويكون مقامه ومدفنه بموضع اسم هجاء حروفه(ت ي ن م ل)[6] ، فشرع في بناء حصن في قمة الجبل ، وبنى كذلك دارا ومسجدا وأدار حولهما سورا وهكذا استقر في هذه المنطقة وجعلها مقره السياسي والعسكري[7]، واعتبرها دار هجرته ، وفي ذات الوقت قام بتقسيم اتباعه إلى طائفتين ، فاعتبر اتباعه من أهل تينملل هم الأنصار ، وغيرهم من الاتباع هم المهاجرين[(8)]، كما لمح بن تومرت غارا بجبل ايجليز فدخله تشبها بدخول النبي (ص) إلى غار حراء ، فتسابق بعض أصحابه إلى تكريمه وتمجيده[(9)]، وقد اتخذ بن تومرت مدينة تينملل مركزا له بحكم حصانة موقعها وفي شهر رمضان من عام

[1]اسماعيل بنايجيج :هواحد تلاميذ المهدي بن تومرت بأغمات وريكة واصبح فيما بعد من اهل الجماعة العشرة تولى القضاءوقيادة الجيوش الموحدية في بعض المعارك ضد المرابطين.ينظر:البدق :كتاب الانساب في معرفة الاصحاب ,ص :31.

[2]تينملل:جبال بالمغرب بها قرى ومزارع يسكنها البرابرين اولها ومراكش سرير ملك بني عبد المؤمن اليوم نحو ثلاث فراسخ.ينظر:الحموي :المصدر السابق ,ج2, ص69.

[3] سعد زغلول : المرجع السابق، ص-ص 185-186.

[4] محمد بن عمرو الطمار : المرجع السابق، ص-ص 53-54.

[5]ابن القطان : المصدر السابق، ص 29.

[6]حمدي عبد المنعم محمد حسين : المرجع السابق، ص-ص: 98-99.

[7]محمد عبد الله عنان : المرجع السابق،ج4، ص: 182.

[8] حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، (د.م.ن) مكتبة الأسرة، (د.ط)، 2004، ص 204.

[9] سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ج5، ص: 195.

515 هـ الموافق لشهر ديسمبر من عام 1121م[1]، قام بن تومرت خطيبا في اتباعه، وقال:" الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي بما يشاؤه، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله المبشر بالإمام المهدي، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، يبيعه الله إلى نسخ الباطل بالحق وإزالة الجور بالعدل ، مكانة بالمغرب الأقصى وزمانه آخر الزمان والاسم والنسب والفعل الفعل"، ويقول عبد المؤمن بن علي:" لما فرغ الامام المهدي من كلامه هذا بادر إليه عشر رجال من أتباعه والملازمين له، وكنت أنا واحدا منهم وقلنا له : يا سيدي هذه الصفة لا توجد إلا فيك ، فأنت هو المهدي ، فبايعناه في أثناء ذلك على ما بايع به الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن نكن يدا واحدة على القتال والدفاع ،وقد تمت هذه البيعة تحت شجرة الخروب اقتداءً ببيعة النبي (ص)

تحت الشجرة[2]، وترتبط هذه البيعة بقيام أولى المجالس التأسيسية " آيت عشرة " أو " جماعة العشرة " المكون من صحابة بن تومرت الأولين السابقين في التوحيد ، وكانت البيعة ببسيط اليد ، وقول الصحابي :" أبايعكم على ما بايع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم " وهم يقومون مقام العشرة المبشرين بالجنة[3]

هذا وقد قسم بن تومرت اتباعه إلى طبقات ،وكل طبقة لها خصوصيتها وتصنيفها يأتي حسب مقدار ومستوى الولاء الذي تقدمه كل طائفة ، حيث كان من هذه الطبقات طبقة العشرة الذين سلف ذكرهم ، ثم تأتي بعدها طبقة الخمسين ويمثلها 06 قبائل مصمودية وهي:

- قبيلة هرغة وينوبها 06 رجال / - مدينة تينملل ويمثلها 14 رجلا.
- قبيلة هنتاتة[4]ويمثلها 05 رجال / - قبيلة جدميوه[5]وينوبها رجلين.
- قبيلة جنيفيسة[6]وينوبها 04 رجال / - قبيلة هسكورة[7]وينوبها 03 رجال.
- قبيلة صنهاجة وينوبها 03 رجال / - من الغرباء 05 رجال.[8]

---

[1] نجيب زينب : المرجع السابق، ج2، ص: 232.

[2] مؤلف مجهول: الحلل لموشية، ص-ص: 107-108.

[3] أصحاب المهدي العشرة هم: (عبد المؤمن بن علي الكومي، أبو ابراهيم اسماعيل بن أيجب، عيد الواحد الشرقي، أبو حفصة عمر بن علي أصناج، عبد الله بن محسن الونشريسي، أبو موسى الصودي، أبو محمد وستار، أبو بكر بن الصنهاجي، عبد الله أهلان، أغوال). ينظر : البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، ص: 33.

[4] هنتاته: وهي قبلة ضخمة وفي بعضها رياسة وشرف في الدهر القديم وهي من أعضم القبائل المصامدة وأكثرها جمعا واشدها قوة . ينظر : عبد الرحمان بن خلدون: كتاب العبر، ج6، ص: – ص 266-267.

[5] جدميوه: وتسمى كذلك كدميوه، وقد كانت تابعة لقبيلة هنتاته إذ أن مواطنهم كانت قرية من مواطن هنتاته. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص: 270.

[6] جنفيسه: وهي قبيلة عزيزة منيعة، وقد اشترك بعضها في مجلس الخمسين ومنهم أبو اسماعيل وأو زيد عبد الرحمان بن رجو وعبد الله بن الحاج وأبو سعيد خلف بن الحسين. ينظر: إبن القطان : المصدر السابق، ص: 31.

[7] هكسورة: تنسب الى قبائل المصامدة وهي كثيرة الأفراد وواسعة الرقعة ، تتصل من جبال درن إلى تدلا من جهة الشرق، وإلى درعة من جهة القبلة. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 271.

[8] ابن القطان : المصدر السابق، ص 31.

كما أضاف بن تومرت طبقات تأخر مثل طبقة السبعين التي تلى طبقة الخمسين ، وكذا صنف الطلبة وطبقة الحفاظ(صغار الطلبة)، بالإضافة إلى طبقة أهل الدار ، وهم أقارب المهدي وعشيرته. وقد كان لكل صنف وقد كان لكل صف من الاصناف مكانة معلومة ومهمة محددة لا تتعداها لغيرها[1]، والجدير بالذكر هو أن الطبقات الثلاث الاولى كانت تمثل النواة الاساسية النظام الحكم والادارة الخاصة بدولة الموحدين المرتقبة حيث كان مجلس العشيرة يختص بدراسة ومناقشة القضايا الكبرى المتعلقة بالحركة الموحدية وأما مجلس الخمسين فهو يختص بدراسة المسائل الاقل أهمية ، ثم يأتي بعد ذلك مجلس السبعين الذي يعتبر دوره استشاريا ، وكذا العمل على تقديم المعلومات وإسداء النصائح[2].

والمهم أن إبن تومرت قد نجح إلى حد بعيد في انجاز عملية الشحن المعنوي للاتباع بالربط بين تلك الطبقات التي تمثل مختلف القبائل واستطاع أن يسيطر على أفكارهم و توجهاتهم فقد كان يقول (ما على وجه الارض من يؤمن إيمانكم وانتم العصابة التي قصدها الرسول (ص) بقولة : (لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهر على الحق حتى يأتي أمر الله ، و أنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم ويقتل المسيح الدجال ، ومنكم الامير الذي يصلي بعيسى بن مريم ، ولا يزال الامر فيكم إلى يوم القيامة)[3]

فمن هذه المنطلقات وغيرها استطاع بن تومرت أن يضع حجر الاساس لدولته على اعتبار الازدواجية الدينية والسياسية التي جعلت منه تومرت شخصية فريدة لها القدرة على الاستقطاب والاقناع والتنظيم بحنكة وسلاسة فائقة[4].

ولضمان تحقيق واستقراره اهتدى بن تومرت إلى فكرة القيام بعملية تصفية جسدية تقضى على كل من يشك في عدم ولاءه أو يشك في مهدويته ، فأمر بن تومرت صاحبه البشير الونشريسي بتنفيذ هذه العملية ، وطلب منه أن يقوم له الاسماء المشكوك في عدم اخلاصها، ثم أمر بعرض كافة القبائل وبعدها قام بفصل الاشخاص المعينين بتصفيتهم عن جمع القبيلة، ثم طلب من كل قبيلة بقتل المعارضين فيها ، فحصل ذلك و تم قتل المئات من جموع القبائل[5].

---

[1] عصمت عبد اللطيف ندش: الأندلس في النهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطرائف الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988، ص: 138.

[2] جورج مارسية: بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى، ترعن الفرنسية محمود عبد الصمد هيكل، مر مصطفى ابو ضيف أحمد ، الاسكندرية، (د.د) ، (د.ط)، 1999، ص :297.

[3] المراكشي : المصدر السابق، ص 255.

[4] ابراهيم حركات ، المغرب العربي عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديث، (د.ط)، ج1، (د.ت)، ص:242.

[5] ابن الاثير : المصدر السابق، ج9، ص: 199.

الخاتمـــــة

لعبت المهدوية دورا هاما في صياغة أشكال الدولة التي عرفها بلاد لمغرب الإسلامي خلال العصور الوسطي ،تميزت هذه الحركات الدينيية والسياسية بإنتظار ظهور امام معصوم ، من نسل النبي محمد صل الله عليه وسلم سيجدد الدين ويقيم العدل على الأرض ، كما ملئت ظلما وجورا ومن خلال هذا يمكننا إستخلاص جملة من النتائج أهمها :

ـ المهدوية لم تكن حديثة الظهور بل كانت قبل الإسلام ،كما ظهرت عند قدماء المصريين والهندوس والبوذيين .

ـ في تاريخ وتراث الإسلام انقسمت المهداوية إلى مهداوية سنية ومهدوية شيعية ، وقامت كلاهما على جملة من الأحاديث المنسوبة إلى النبي محمد عليه أفضل الصلاة و أزكى التسليم ،وعلى تأويل بعض الآيات القرآنية .

ـ إن شعار "العدل في القضية والقسمة بالسوية "التي كانت ترجعه كل الفئات الإجتماعية المهمشة في الأمصار الإسلامية ، كان هو الأرضية التى نهضت عليها فكرة المهدى الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلما وجورا .

ـ المهداوية الإسماعيلية والتي تلقب بها أول خليفة فاطمي عبيد الله المهدى ، كان جزء من الموروث الشيعي عامة والإسماعيلي خاصة ، وقد استخدمت في بلاد المغرب الإسلامي من طرف الدعاة والمنظرين من أجل اضفاء الشرعية على االدولة الفاطمية ، من خلال استغلال كل الموروث الذي رأيناه في الفصل الأول .

ـ الموحدية رغم تشابهها مع المهدوية الفاطمية بسبب اشتراكها في الموروث الإسلامي نفسه ، إلا أنها تختلف عن المهدوية الفاطمية من حيث أنها تشكل مجرد جزء من منظومة التوحيد التي اشتملت على عناصر أخرى خارجية و سنية، رغم أننا ل نملك أدلة قاطعة على أن محمد بن تومرت ادعى المهدوية ، الأمر الذي يدفعنا إلى التفكير في أنها تكون صياغة متأخرة تمت في عهد عبد المومن بن علي ، خاصة وأن نهاية ابن تومرت شابها الغموض .

ـ تخلى الموحدون عن فكرة المهدوية وذلك في عهد يعقوب المنصور بن يوسف حيث عرف خلال فترة حكمه بالميل من آراء المهدى ورفضها ، وكان ذلك نتيجة لعملية تاريخية معقدة تأثرت بعدة عوامل دينية سياسية وثقافية متعددة ، ومع مرور الوقت تغيرت أولويات الدولة الموحدية ونظرتها الدينية ، مما أدى إلى تراجع فكرة المهدوية كعنصر أساسي في هويتها

ـ ظهور المهدوية في بلاد المغرب الإسلامي ، أدى إلى سقوط وزوال دول وظهور دول أخرى كالدولة الفاطمية والدولة الموحدية .

ـ عند تهميش فئة كبيرة من المجتمع من طرف السلطة الحاكمة ، يظهر مدعوا المهدوية أو المخلص لإنقاذ المجتمع من الظلم والاستبداد الذي يعانون منه ، كما هو الحال للدولة الفاطمية والدولة الموحدية .

ـ برزت ادعاءات المهدوية في سياقات تاريخية مختلفة ، مستثمرة الأزمات والاضطرابات لتقديم حلول خلاصية.

ـ واجهت المهدوية تحديات ومخاطر ، حيث تحولت بعض الحركات إلى أدوات للوصول إلى السلطة أو لتبرير العنف .

قائمة الملاحق

الملحق 01: خريطة توسع أبي عبد الله الشيعي من قاعدة إسكجان

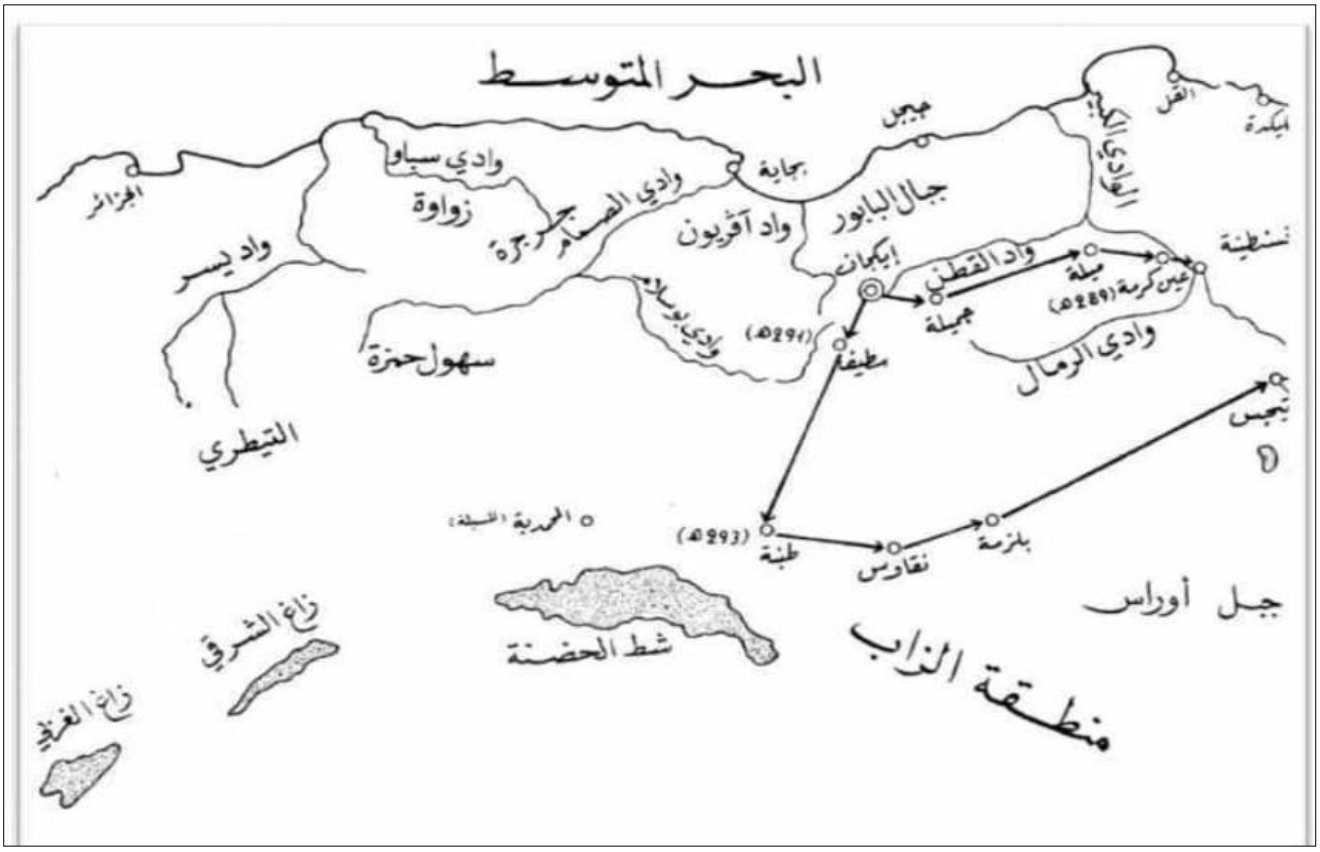

الملحق 02: خريطة الدولة الفاطمية في أوج إتساعها حوالي990 /نقلا عن حماد الصنهاجي :المصدر السابق ص131

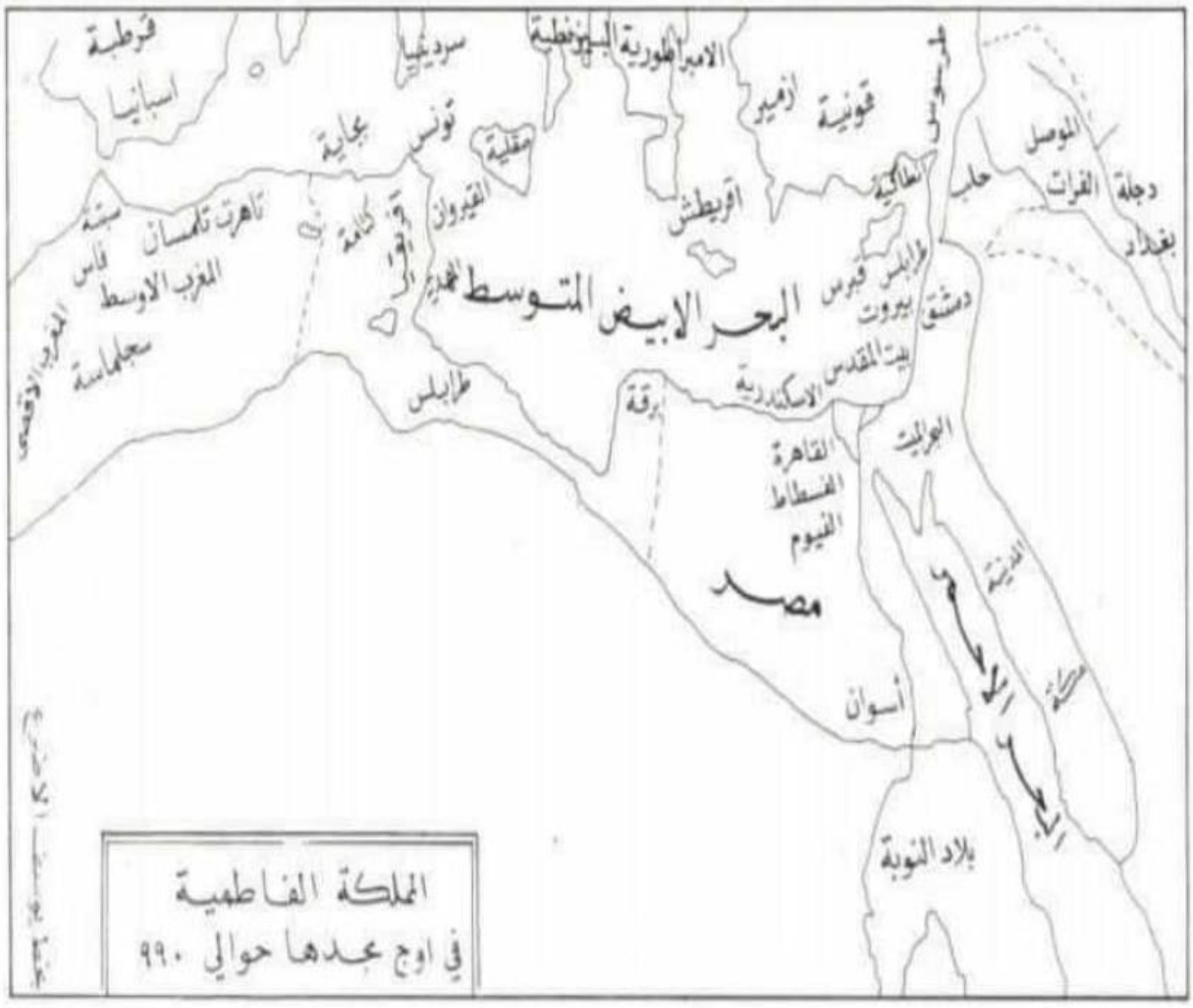

الملحق رقم 03: محمد عبد الله عنان:المرجع السابق،ص183

الملحق رقم 04: محمد عبد الله عنان :المرجع السابق،ص551.

صـــــيغة التوحيد

التى وضعها المهدى ابن تومرت لأتباعه

توحيد البارى سبحانه

(منقولة عن كتاب « أعز ما يطلب » ص ٢٤٠ و ٢٤١)

لاإله إلا الذى دلت عليه الموجودات ، وشهدت عليه المخلوقات ، بأنه جل وعلا ، وجب عليه الوجود على الإطلاق، من غير تقييد ولا تخصيص، بزمان ولامكان، ولاجهة ولا حد ، ولا جنس ولاصورة ولا شكل، ولامقدار ولاهيئة ولاحال ، أول لايتقيد بالقبلية ، آخر لايتقيد بالبعدية، أحد لايتقيد بالأينية ، صمد لايتقيد بالكيفية ، عزيز لايتقيد بالمثلية ، لاتحده الأذهان ، ولاتصوره الأوهام ، ولاتلحقه الأفكار ، ولاتكيفه العقول ، لايتصف بالتحيز والانتقال ، ولايتصف بالتغيير والزوال، ولايتصف بالجهل والاضطرار ، ولايتصف بالعجز والافتقار، له العظمة والجلال ، وله العزة والكمال، وله العلم والاختيار ، وله الملك والاقتدار ، وله الحياة والبقاء ، وله الأسماء الحسنى ، واحد فى أزليته ، ليس معه شىء غيره ولاموجود سواه ، لا أرض ولا سماء ولاماء ولاهواء ، ولا خلاء ولا ملاء ، ولانور ولاظلام ، ولاليل ولانهار، ولا أنيس ولاحسيس، ولا رز ولاهميس ، إلا الواحد القهار ، انفرد فى الأزل بالوحدانية ، والملك والألوهية ، ليس معه مدبر فى الخلق ، ولاشريك فى الملك ، له الحكم والقضاء ، وله الحمد والثناء ، ولا دافع لما قضى ، ولامانع لما أعطى ، يفعل فى ملكه ما يريد ، ويحكم فى خلقه ما يشاء ، لايرجو ثواباً ، ولايخاف عقاباً ، ليس فوقه آمر قاهر ، ولامانع زاجر ، ليس عليه حق ، ولاعليه حكم، فكل منة منه فضل، وكل نقمة منه عدل ، ولايسأل عما يفعل ، وهم يسألون .

الملحق رقم 05 محمد عبد الله عنان: المرجع السابق،ص199.

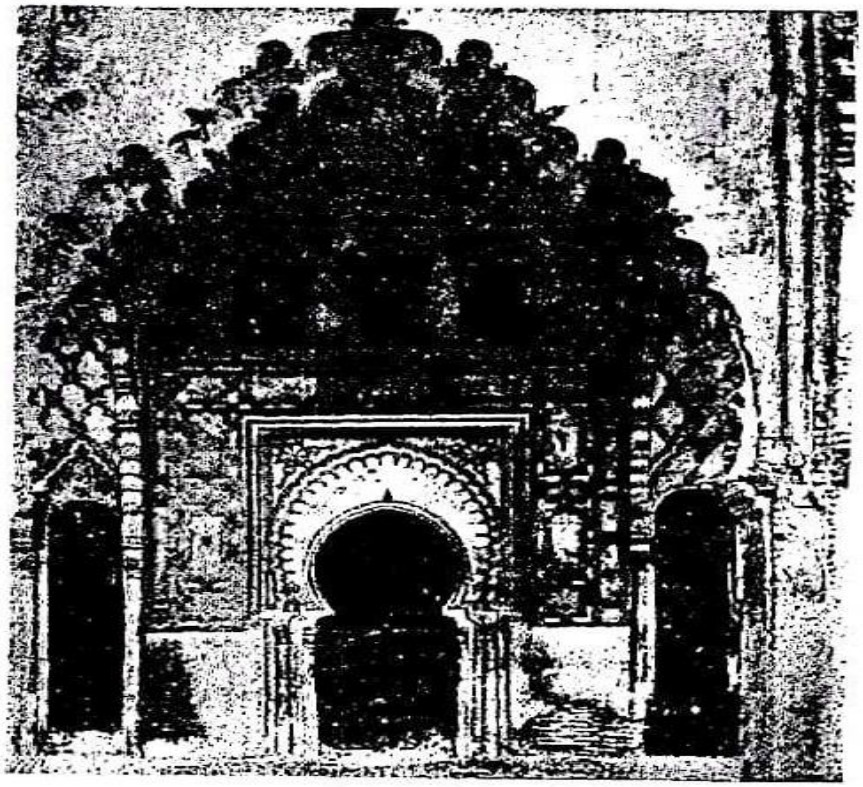

تيملل : محراب جامع
المهدى ابن تومرت

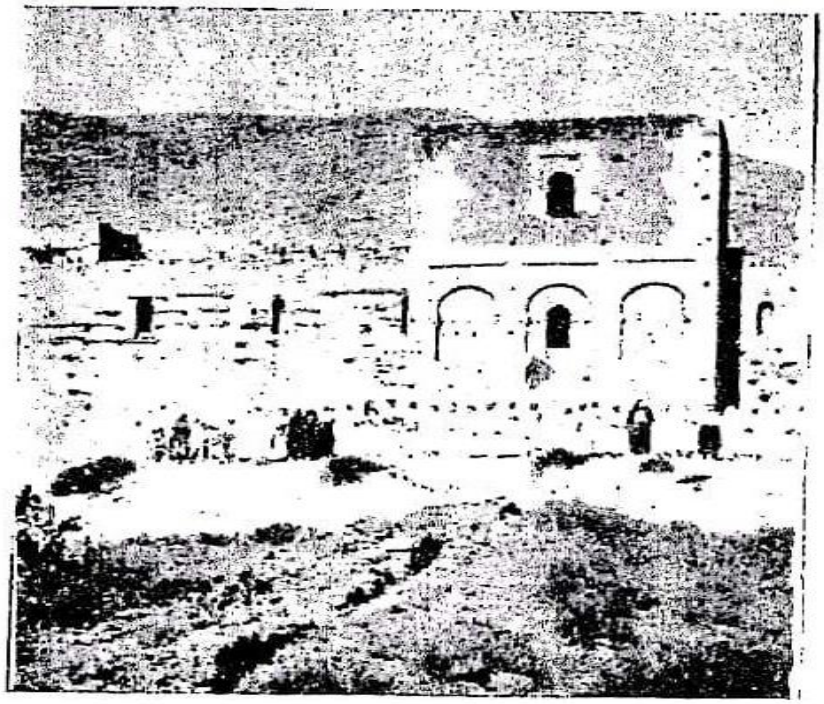

تيملل : إحدى واجهات
جامع المهدى
وأمامها لفيف من قبيلة جنداقة

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم**

أ–قائمة المصادر:

1. ابن الأثير ، أبو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري(ت630هـ/1233م) :الكامل في التاريخ ، ط 4 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،مج 5 ، 1987م.

2. الباروني، عبد الله النفوسي : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، دار الحكمة ، لندن ، ج 2، 2005م

3. البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب (ت 487هـ/ 1040م): المسالك والممالك ، تح ، جمال طلبة ، دار الغرب العلمية ، بيروت ، 1957م

4. البيدق، ابو بكر الصنهاجي : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تح عبد الحميد حاجيات ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، 1986

5. التجاني ،ابو محمد عبد الله بن محمد بن احمد: رحلة التجاني، تق، حسين حسني عبد الوهاب، ليبيا ، تونس، الدار العربية للكتاب(د.ط)، 1980م

6. ابن تومرت، محمد المهدي (ت 524هـ/ 1130م:**أعز ما يطلب**، تقديم وتحقيق عبد الغني أبو العزم، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، 1997م.

7. ابن تيمية: مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبد الرحمان بن القاسم ، الرباط ، مكتبة المعارف ،ج11 ,(د،ط).

8. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت 728هـ/ 1328م): منهاج السنة النبوية ، تحقيق محمد رشاد سالم ،مؤسسة قرطبة ،1406هـ ،ط1،ج8.

9. الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 393هـ/ 1002م): **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق عبد الغفور عطار، دار العلم لملايين، بيروت، ط2، ح6، م1979

10.ابن خرداذبه ، ابو القاسم عبد الله بن عبد الله: المسالك والممالك، ن: دي غوية، ليدن, مطبعة بريل,(د.ط)، 1889م

11.الخشني ، أبي عبد الله محمد بن حارث بن أسد: قضاة قرطبة وعلماء إفريقية ، مكتبة المدبولي ، القاهرة ، 1993م

12.ابن الخطيب، محمد بن عبد الله سعيد السلماني الغرناطي: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (القسم الثالث) ، تحقيق: أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب

13.ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت808هـ/1406م:**المقدمة**، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، لبنان، 2001م

14.الدباغ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ج 1، 2002م

15.الدرجيني،أبو العباس أحمد بن سعيد: طبقات المشائخ بالمغرب ، تح :إبراهيم طلاي ،مطبعة البعث ،قسنطينة ،د.ت،ج 1

16.ابن أبي دينار،محمد بن أبي القاسم القيرواني (ت 1092هـ/ 1695م): المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس ، تح، محمد شمام ، المطبعة الدولية التونسية ، تونس ، 1967م .

17.الذهبي،شمس الدين بن أحمد بن عثمان بن قايماز:المقدمة الزهراء في إيضاح الإمامة الكبرى، تحقيق علي رضا، دار الفرقان، القاهرة، 2008م

18.ابن أبي زرع أبو الحسين علي بن عبد الله الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس, تح: عبد الوهاب بن منصور ، الرباط، دار المنصور، م1973.

19.الزركشي،أبي عبد الله محمد بن ابراهيم : تاريخ الدولتين الموحدين والحفصية ، تح: محمد ماضون، تونس ، المكتبة العتيقية، ط2، م1966

20.السيجستاني،أبو يعقوب: الينابيع ، تح، مصطفي غالب ، مكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، 1965م

21.الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت548هـ/1153م):الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1993م

22.الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي :الاعتقادات في دين الإمامة، تحقيق عصام عبد السيد، بيروت، ط2 1993م

23.ابن الصغير ، (القرن الثالث الهجري: أخبار الأئمة الرستميين ، تح :محمد ناصر و إبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،د.ت

24.ابن عذارى ،أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (ت بعد 712هـ/ 1313م) : البيان المغرب في أخبار إفريقية والمغرب ،تحقيق ،ليفي بروفسينال و ج.كولان، ط 3 ،دار الثقافة ، بيروت ، 1983م

25.الغزالي ،ابو حامد محمد بن محمد الطوسي: إلجام العوام عن علم الكلام ضمن مجموعة من الرسائل، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، 1986م

26.ابن فارس أبو الحسن أحمد:مقاييس اللغة ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر (د.م)، 1972م ،ج6

27.الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/ 1414م):القاموس المحيط، تحقيق انس محمد الشامي و زكرياء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008م

28.القاضي النعمان ،محمد بن أحمد بن حيون التميمي أبو حنيفة(ت363هـ/974م) : افتتاح الدعوة ، تح، فرحات الدشراوي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 ، 1986م

29.القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تح: أحمد بكير محمود، بيروت، دار مكتبة الحياة ،(د.ط)، 1968، ج1

30.ابن القطان ،أبو محمد حسن بن علي الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان ، تح: محمود علي مكي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990م

31.ابن القلانسى ،أبى يعلى حمزة : ذيل تاريخ دمشق ، تح: سهيل زكار ، دمشق ، دار حسان (د،ط) 1983م

32.ابن القنفذ القسنيطيني، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب: الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، 1968م

33.ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774هـ/ 1372م) :البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن محسن التركي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة،1997م

34.الماوردي، أبو الحسين علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ/ 1058م): الأحكام السلطانية، تحقيق احمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م.

35.مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق ، سعد زغلول عبد الحميد ، دار النشر المغربية ، دار البيضاء ، 1958م .

36.مراكشي عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تق وتح وتع: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني

37.المقدسي ،شمس الدين أبي عبد الله : أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم ،ط 3 ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1991م.

38.المقريزي تقي الدين: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح، جمال الدين شيال، دار الفكر العربي ، القاهرة، 1967م ، ج 1.

39.ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري (ت 711هـ/ 1331م):لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)،مج6

40.النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن الدائم القرشيت833هـ:نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: عليب وملحم ،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،2004م،ج24

41.ابن وردان :تاريخ مملكة الأغالبة ،تح: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي ،القاهرة ،1988م

42.اليعقوبي ،أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ ،تح: عبد الأمير مهنا، ط1،شركة الأعلي للمطبوعات، بيروت،2010م،مج2

ب–قائمة المراجع:

1. إبراهيم زكي خور شيد وآخرون: دائرةالمعارفالاسلامية،القاهرة،الشعب،ط2،ج1، 1969م

2. الأحمد سامي سعيد : محاضرات في التاريخ القديم على طلاب الصف الثاني بكلية الآداب قسم التاريخ نقلا عن فاتح مهدي ، البحث عن منقذ دراسة مقارنة بين ثماني ديانات ، دار رشيد ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1981م

3. إدريسي الهادي روجي:الدولة الصنهاجية– تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12 – ترجمة حمادي ساحلي ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1992 م،ج1 بيروت، 1983م.

4. إسماعيل محمود: الأدارسة (172_375هـ)حقائق جديدة ،ط 1 ،مكتبة مدبولي،القاهرة ،1991م

5. الأعظمي محمد ضياء الرحمن: دراسات في اليهودية المسيحية أديان الهند ن مكتبة الرشد ناشرون ن السعودية ،ط2 ، 2003 م.

6. إميل توما : الحركات الاجتماعية في الاسلام، بيروت، دار الغرب، (د.ط)، 1980م

7. بدر أحمد:تاريخ المغرب والأندلس ،المطبعة الجديدة،دمشق1980م

8. بدوي عبد الرحمان : تاريخ التصوف الاسلامي من البداية حتى النهاية القرن الثاني ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ط2 ، 1978م

9. بدوي يوسف علي: عصر الدويلات الاسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، الجزائر، دار الاصالة، ط1، 2010م

10. بل الفريد: الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي إلى اليوم ، تر: عبد الرحمان بدوي ، بيروت، دار الغرب الاسلامي، ط2، 1981م

11. بلهواري فاطمة :الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي،دار المسك للطباعة والنشر،(د،ط) تلمسان ،2011م

12. بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، ج 1، 2007م

13. بونار رابح: المغرب العربي تاريخه وثقافته ، البضائر الجديدة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2019م

14. البيروني محمد بن طاهر التنير : العقائد الدينية في الديانة النصرانية ،دار الصحة للنشر ، القاهرة، (د.ط) ،1995م

15. تسيهر أجناس جولد ،جولد تسهر: العقيدة الشريعة في الإسلام ، ترجمة علي حسن عبد القادر و أخرون ،دار الكتاب ، القاهرة،ط2 ،(ت.ت)

16. الثعالبي عبد العزيز:تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية ،تح:أحمد بن ميلاد،أحمد إدريس ،ط2،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1990م

17. الجهني مانع بن حماد: الموسوعة الميسرة في الأديان المذاهب الأحزاب المعاصرة ، دار الندوة العالمية للطباعة و النشر التوزيع ، الرياض ، السعودية ، ط3 ، 1418هـ

18. الجوذري العزيزي علي منصور : سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين ، تح ، محمد كامل حسن ومحمد عبد الهادي شعيرة ، دار الفكر العربي ، بيروت ،(د_ت)

19. جيرون امحمد :نشأة الفكر السياسي الإسلامي وتطوره، منتدى العلاقات العربية والدولية، (د.م)، 2015م

20. الجيلاني عبد الرحمان بن محمد : تاريخ الجزائر العام ،ط 4 ،دار الثقافة ، بيروت ، ج 1 ،1980م

21. حركات ابراهيم ، المغرب العربي عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديث، (د.ط)، ج1، (د.ت)

22. حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعز لدين الله الفاطمي ، مكتبة النهضة ،القاهرة ، 1947م

23. حسن على حسن:المغرب الإسلامي(122_923هـ)،دار السفير،القاهرة،2008م

24. حسين حمدي عبد المنعم محمد: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، (د.ط)، 1998م

25. الخربوطلي علي حسن: أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية،(د،د،ط)،(د،ط)،(د،م،ن)،1972م.

26. الخطيب عبد الكريم : المسيح في القرآن التوراة الإنجيل ،دار الكتب الحديثة ، ط1 ،1966م

27. الدشراوي فرحات: الخلافة الفاطمية بالمغرب (365296هـ / 909 (975م) التاريخ السياسي والمؤسسات تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994م.

28. دندش عصمت عبد اللطيف: الأندلس في النهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطرائف الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1988م

29. رابحي رضوان" :إطلالة على ظاهرة المهدوية في المغرب الأقصى الوسيط والحديث-مقارنة بين اليهود والمسلمين "-دورية كان التاريخية، العدد(،33سبتمبر)

30. زبيب نجيب: دولة التشيع في بلاد المغرب ،دار الأمير للثقافة والعلوم ،بيروت ، 1993م

31. زيغور علي: الفلسفة في الهند ، مؤسسة عز الدين للطباعة النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1993 م

32. السادة مجتبى:تعريف المهدية للحضارات الأخرى،دار أطياف للنشر التوزيع ، السعودية ،ط 1، 2020م

33. سليمان مظهر : قصة الديانات ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1995م ،(د.ت)

34. السيد محمود: تاريخ دولتي المرابطين والموحدين ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة (د،ط) 2004م

35. شاكر محمود:التاريخ الإسلامي الدولة العباسية ،ط 6 ، دار المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 2000م ،ج 1.

36. أبو شامة عبد الرحمان: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، مطبعة واد النيل ، القاهرة ، ج 1 ، 2002م.

37. شلبي أحمد : أديان الهند الكبرى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1، 2000م

38. شلبي أحمد : مقارنة الأديان (اليهودية) ، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ، ط2 1988م

39. شلبي فؤاد محمد: در مصر في تكوين الحضارات ، الهيئة المصرية العامة للتأليف ،القاهرة،ط1 ، 1971م

40. الشيبي كمال مصطفي : الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، مكتبة النهضة ، بغداد ، 1966م

41. صبحي أحمد محمد :نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية ، دار النهضة العربية ،بيروت ،1991م

42. صديقي محمد الناصر :فكرة المخلص-بحث في الفكر المهدوي-، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، 2012م

43. الصلابي علي محمد: صفحات من التاريخ الإسلامي (دولة الموحدين)، عمان،دار البيارق، د.ط، 1998، ج5

44. الطالبي محمد :الدولة الأغلبية التاريخ السياسي 184_296هـ/800_909م،ط 2 ،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،1995م

45. طقوش محمد سهيل: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام 297_567هـ/910_1171م،ط 1 ،دار النفائس،بيروت ،لبنان،2008م.

46. الطمارمحمد:المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2010 م.

47. ظاظا حسن :الفكر الإسرائيلي (أطواره ومذاهبه(، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1979م.

48. العبادي أحمد مختار : في التاريخ العباسي والفاطمي ،دار النهضة العربية ،(د،ط)،بيروت،(د،ت،ط)

49. عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، الإسكندرية، منشأة المعارف، (د.ط)، ج5، 2000م

50. عبد محمد سوادى وصالح عمار الحاج: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، القاهرة، المكتب المصري، ط1، 2004م

51. عبيدات داود عمر سلامة: الموحدون في الاندلس، الاردن، دار الكتاب الثقافي، (د.ط)،2005م

52. العروي عبد الله : مجمل تاريخ المغرب. بيروت ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،ج2 ،1994م

53. عزه دروزة محمد : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ،ج1 ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية،مصر

54. عنان محمد عبد الله : الحاكم بأمر الله و أسرار الدعوة الفاطمية ، مطبعة المدني ، القاهرة ، 1983م

55. عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م.

56. الغندور نبيل أنسى :المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية، مكتبة النافذة، القاهرة،2007م

57. الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس،المطبعة التجارية الحديثة ،القاهرة،مصر،1990م

58. لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس هجري ، الجزائر ،المكتبة الوطنية ،د.ت،

59. الماحي الشفيع أحمد : زرادشت الزرادشتية ، منشورات حوليات كلية الأدابو العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، الحولية رقم 21 ، الرسالة رقم 160 ،2001 م

60. مارسية جورج: بلاد المغرب و علاقتها بالمشرق الاسلامي في العصور الوسطى، ترعن الفرنسية محمود عبد الصمد هيكل، مر مصطفى ابو ضيف أحمد ، الاسكندرية، (د.د) ، (د.ط)، 1999م

61. مجاني بوبة: دراسات إسماعيلة ،مطبوعات جامعة منتوري ،(د،ط)، قسنطينة، 2002م

62. محمد زنيبر: الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي بن تومرت، مجلة المناهل، العدد 24، 1982م

63. محمود اسماعيل: فكرة التاريخ بين الاسلام والماركسية، القاهرة، (د.ط)، 1988

64. محمود إسماعيل: محنة المالكية في إفريقية المغربية رؤية إجتماعية ، فاس ،(د.ن)، 1977م

65. مرمول صالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983م

66. مصطي غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 2 ، (د_ت)

67. المعموري الطاهر: الغزالي وعلماء المغرب، تونس، الدار التونسية للنشر، 1990م

68. موسى عز الدين: الموحدون في الغرب الاسلامي –تنظيماتهم ونظمهم،دار الغرب الاسلامي ، بيروت(د.ط)

69. مؤنس حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، (د.م.ن) مكتبة الأسرة، (د.ط)، 2004

70. مؤنس حسين:المغرب الإسلامي ،ط2،الشركة الوطنية للمشر والتوزيع،الجزائر،1981م

71. النجار عبد الله وكمال الحاج :الصهيونية بين تاريخين، دار العودة، 1972م

72. النجار عبد المجيد: الاجتهاد عند المهدي بن تومرت ضمن كتابه فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب، بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1992

73. النجار عبد المجيد: المهدي بن تومرت –حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب–، دار الغرب الإسلامي

74. النجار عبد المجيد: تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت ،فرجينيا، المعهد العالمي للفكر الاسلامي

75. النجار عبد المجيد:الاغالبة (184_296هـ) سياستهم الخارجية ، ط 3، عين الدراسات و البحوث ،القاهرة، 2000م

76. نصحي إبراهيم: دراسات في تاريخ مصر في عهد البطالمة ، مكتبة لأنجلو المصرية ، مصر ، 1959م

77. نصر الدين سعدون عباس: دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172_223هـ/788_835م ، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ،1987م

78. نصر الله سعدون عباس:دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين،دار النهضة العربية

79. الهمذاني ابن عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة ، تح، عبد الكريم عثمان ،دار العربية للطباعة والنشر،ج 2،(د_ت)

80. وجدي محمد فريد :دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، ط3 ،1971 م ، ج 6

81. يوسفي جمشيد :الزرادشتية-الديانة والطقوس والتحولات اللاحقة-، منشورات زين، بيروت، الوسام العربي الجزائر، 2012م

ج – الرسائل الجامعية:

1. الإدريسي علي الهادي :الإمامة عند ابن تومرت –دراسة مقارنة مع الشيعة الأمامية الاثني عشرية-، بحث لنيل شهادة الماجستير، إشراف أبو عمران الشيخ، معهد الفلسفة، جامعة الجزائر، 1987م

2. محمود الأسمر :المهدي المنتظر-دراسة في نشأة وتطور هذه الفكرة في الإسلام منذ منشئها حتى عصر ابن خلدون-، رسالة للحصول على درجة أستاذ في التاريخ العربي، جامعة بيروت الأمريكية، 1948م

د- المراجع الأجنبية بلغتها الأصلية:

1- Goldziher, Ignas : mohammed Ibn Toumert et theologie de l’Islam dans le nord l’alfrique au XIe secles, alger : imprimerie , orientale Pierre fontana, 1903, P 91